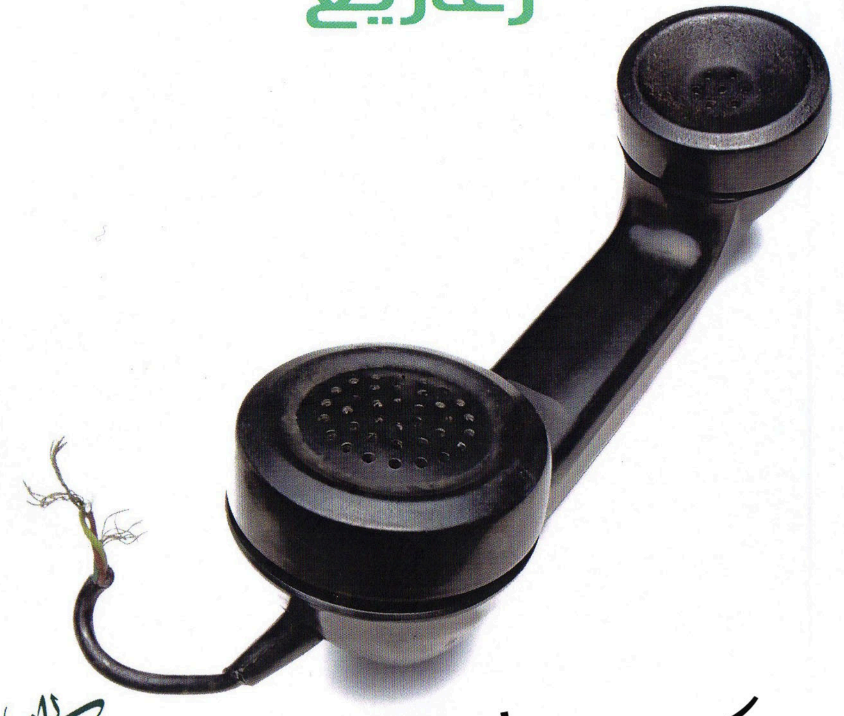
د. أحمد خالد توفيق

زغازيغ



زغازيغ

تأليف:
د.أحمد خالد توفيق

تصميم الغلاف:
أحمد مراد

رقم الإيداع: 2017/9065
الترقيم الدولي: 2-023-820-977-978

إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

***

كيان للنشر والتوزيع
٢٢ ش الشهيد الحي بجوار مترو ضواحي الجيزة - الهرم
هاتف أرضي: 0235688678- 0235611772
هاتف محمول: 01001872290-01000405450-01005248794
بريد إلكتروني: info@kayanpublishing.com - kayanpub@gmail.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

زغازيغ

د.أحمد خالد توفيق

تررررن!

يحكي د. جلال أمين أن أباه المفكر الإسلامي الشهير أحمد أمين سمع للمرة الأولى عن دخول اختراع اسمه الهاتف إلى مصر، فسأل الناس عن نفعه.. قالوا له: حتى إذا ما احتاج لك أحد قرع الجرس واتصل بك. قال لهم: هكذا خادمي .. أحتاج له فأقرع الجرس!.. وظل يرفض تركيب جهاز هاتف لفترة طويلة.

ما زلت أجد كلام الرجل عبقريًا بعيد النظر فعلاً، ولا أخص بكلامي الهاتف الجوال فهو اختراع كريه آخر أقرب وصف له أنه عقرب في جيبك لا تعرف متى يلدغك. جرب أن تتعطل سيارتك في الصحراء، أو يحيط بك ستة من المسلحين ينوون ذبحك، أو تصاب - لا سمح الله - بنوبة قلبية في مصعد معطل في بناية تحترق، ولسوف تكتشف أن الجوال لا يعمل أبدًا عندما تتوقف حياتك عليه ..

الجوال كارثة كونية، لكني أتحدث هنا عن الهاتف العادي الذي هو اقتحام وقح دائم لخصوصيتك

وأفـكارك .. أنـا أكتـب هـذا المقـال الآن وأنـوي أن أرسـله للمجلـة .. لا أعـرف كيـف سـينتهي لأن الفكـرة مـا زالـت ذائبـة في عقـلي لـم تتبلـور بعـد .. سـوف ... تـررررن!.. أوقـع دسـتة مـن الأقـلام عـلى الأرض كي ألحـق بالسـماعة .. هنـا يـأتي صـوت مـن يقـول لي:

ـ «الحاجـة عفـاف .. لقـد عاودهـا الـدوار بعـد مـا تعاطـت تلـك الأقـراص الـتي وصفتهـا لهـا .. تناولـت قرصًـا فصرخـت وسـقطت عـلى الأرض والزبـد يخـرج مـن شـدقيها .. إنهـا تمـوت الآن .. تعـال حـالاً ..»

لا تنـس أنـني طبيـب ولـم أعـتزل المهنـة. طبعًـا لا تحـاول فهـم كيـف تتسـبب بعـض أقـراص فيتامـين (ب) في هـذا كلـه، وكيـف يقتـل القـرص وهـو مـا زال في فـم المريضـة كأنـه سـيانيد ممـا ينتحـر بـه الجواسـيس قبـل الاسـتجواب. المهـم أنـني أمـضي مـع الرجـل نصـف سـاعة حـتى أدرك أخـيرًا أن الحاجـة (عفـاف) بخـير وأنهـا فقـط تريـد أن تعيـد الكشـف مجانًـا ..

عم كنا نتكلم؟.. عن الـ .... ترررن! ..

آلـو!.. هنـاك فتـاة حزينـة تقـول لي في حـزم: «عندمـا حدثتـك عـن قصـتي مـع عمـاد لـم أتوقـع أن تخـبر نرمـين بذلـك .. أنـت تعـرف أن الشرنـوبي يبحـث عـن أيـة زلـة لي كي

يخبر هويدا ..»

طبعًا لا أعرف حرفًا عن عماد ونرمين والشرنوبي الوغد الذي ينتظر زلة ليخبر هويدا .. أمضي ربع ساعة حتى أفهم وأعتذر عن شيء لا أذكر حرفًا منه. الآن نكمل المقال .. كنت أتحدث عن الفضائيات على ما أذكر .. لا.. كنت سأتحدث عن الهاتف المزعج الذي .... ترررررن!

آلو .. نحن جمعية المعلومات الشبابية المستقبلية المقننة لما بعد الحداثة.. كنا نود معرفة رأيك في المعلومات الشبابية المستقبلية المقننة لما بعد الحداثة.. لا أعرف شيئًا عن الموضوع يا سيدي .. يجب أن تطلبوا رأي من له باع في المعلومات الشبابية المستقبلية المقننة لما بعد الحداثة..

عم كنا نتكلم ؟... تررررن؟... صوت طفل .. أنا هيثم يا عمو .. هل محمد عندك؟.. أنادي ابني كي يرد وأتمنى ان يستغرق وقتًا طويلاً لأن هذه الطريقة الوحيدة كي يخرس هذا الوحش ..

تررررن!.. متى وضع ابني السماعة؟.. أمد يدي فأسقط باقي لفافة التبغ المشتعلة على سروالي فأهب صارخًا بحثًا عن الزهرة المحترقة التي هي في موضع ما من سروالي الآن.. أين؟.. أتواثب كالبرغوث في الغرفة ثم أرفع

السـماعة ..

آلـو!.. صـوت رجـل ظريـف يقـول لي: «خمـن مـن أنـا؟.. أحقًّـا لا تعـرف .. لا .. لا .. أنـا فعـلاً متضايـق .. كنـت أتصـور أي شيء إلا أن تنسـاني ..»

ـ «سيدي .. هلا قلت من أنت وأرحتني؟»

ـ «لا . لا .. ليس بهذه السهولة .. فكر قليلاً!»

أخيرًا وبعد نصف ساعة يخبرني أنه سيد البهنساوي ..

ـ «ومن هو سيد البهنساوي؟»

يطقطـق بشـفتيه مسـتنكرًا .. تـؤ .. تـؤ .. بهـذه السرعـة نسـيت؟... في تلـك النـدوة منـذ ثلاثـة أعـوام قابلتـك مـع عـلاء البنهـاوي وقلـت لـك إنـني قريـب محسـن .. مـن هـو محسـن ومـن هـو عـلاء؟... أحتـاج لربـع سـاعة كي أتذكـر ..

أضـع السـماعة وأفصـل السـلك نهائيًـا .. أمـضي سـاعتين مـن السـلام حـتى أفاجـأ بـأن زوجـتي تخـبرني أن أخـتي كلمتها عـلى الجـوال .. إنهـا تحـاول الاتصـال بي منـذ سـاعتين لأمـر طـارئ .. يـا أخـي حـرام عليـك .. هـل يوجـد عمـل في الدنيـا أهـم مـن أختـك؟..

في النهايـة أعيـد توصيـل السـلك وأحـاول تذكـر مـا كنـت

أفعلـه، عندمـا أتلقـى مكالمـة أخـرى مـن رجـل يخـبرني أن الحاجـة (عفـاف) تـزداد سـوءًا .. يبـدو أن عندهـا حساسـية قاتلـة مـن فيتامـين (ب)..

عـم كنـت أتكلـم؟.. لقـد نسـيت .. آه .. هـل تعـرف لمـاذا صـار الجاحـظ هـو الجاحـظ والمتنـبي هـو المتنـبي، وتشـارلز ديكـنز هـو تشـارلز ديكـنز؟... كان الأمـر سـهلاً بالنسـبة لهـم لأنـه لـم يكـن في بيوتهـم هاتـف!

دردشة

اعتاد أشرف وعادل صديقه أن يذهبا إلى نادي الإنترنت في نهاية الشارع في كل يوم، للعب لعبة (كاونتر سترايك) الشهيرة ..

في هذه اللعبة يشترك معك عدد من اللاعبين في نادي الإنترنت، وتغيب عن العالم بضع ساعات. في زيارتهما الأولى لهذا النادي لم يخطر ببالهما أن اللعبة إدمانية لهذا الحد، حتى عندما رأيا ذلك الفتى الذي غلفه نسيج العنكبوت، والفتى الذي تحول إلى هيكل عظمي ممسك بعصا التحكم. كما لم يتوقفا كثيرًا أمام الأم التي تحمل كيسًا مليئًا بالشطائر وتقف على الباب دامعة - كأنها تقف على باب سجن القناطر - ترجو صاحب النادي أن يحمل هذه الشطائر لابنها الوحيد الذي لم يذق الزاد منذ أسبوع ..

لعبا كثيرًا جدًا ثم بدءا يملان هذه اللعبة ..

هنا استرعى انتباههما هؤلاء الشباب الذين يجلس كل منهم أمام شاشة مقسومة إلى نصفين، وهناك صورة

فتاة حسناء أو شاب وسيم وجمل متلاحقة كأنه حوار مسرحية. هناك فتيات تجلس الواحدة منهن أمام شاشة، لكن هناك ألف عين فضولية تختلس النظر إلى ما تكتبه ..

عرف أشرف وعادل أن هذا هو الشات .. الدردشة الإلكترونية .. تعطي نفسك اسمًا زائفًا ثم تجلس أمام برنامج الدردشة وتبحث عن شخص تريد الكلام معه، وتمر ساعات طويلة عليك وأنت في هذا الوضع ..

وهكذا قرر الصبيان أن هذه لعبة مسلية أكثر من (كاونتر سترايك)، وسرعان ما جلس كل منهما أمام شاشة وبدأ يبحث عن اسم يتحدث معه. قرر أشرف أن يطلق على نفسه اسم (العاشق الحزين) .. وجد فتاة اسمها (المعذبة) فطلب أن يتكلم معها ..

ـ «أنا العاشق الحزين .. مهندس في الأربعين ومقيم في كندا ..»

طبعًا أشرف طالب في الصف الثاني الإعدادي وهو من (بولاق) في مصر ..

ـ «وأنا المعذبة .. فتاة رقيقة زرقاء العينين في العشرين من مصر.. وبما إنني معذبة فأنا لا أكف عن البكاء ..»

وهكذا ولدت صداقة حميمة بين الاثنين .. الصداقة تحولت خلال نصف ساعة إلى قصة حب .. المهندس الحزين الذي لم يلق قصة حب حياته وجدها أخيرًا.. وهي التي لم تلق رجلاً صادقًا حتى اليوم وجدته الآن...

- «هات عنيك تسرح في دنيتهم عنيا»

- «الموج الأزرق في عينيك يناديني حتى الأعمق»

هنا مال عادل على أشرف يخبره أن موعد درس العلوم قد جاء، فانتفض أشرف مذعورًا وكتب للفتاة:

- «آسف .. هناك اجتماع لمجلس الإدارة مع الخبراء اليابانيين حالاً.. يجب أن أتركك يا أغلى الناس»

هنا كتبت الفتاة:

- «أما أنا فقد حان موعد بكائي اليومي .. لا تنسني يا أعز الناس واذكرني عندما يكتمل قرص القمر وعندما يرحل الخبراء اليابانيون»

أغلق الصبيان جهازي الكمبيوتر ودفعا الأجرة، ثم غادرا المكان وهما يوشكان على الموت ضحكًا .. هذه لعبة مسلية أكثر من أية لعبة لعباها في حياتهما . قال أشرف لصاحبه وعيناه دامعتان من كثرة ما قهقه:

ـ «وجـدت فتـاة حمقـاء .. أقنعتهـا أنـني مهنـدس ثـري في الأربعـين أقيـم في كنـدا وأنـني لـم أتـزوج لأنـني لـم أجـد فتـاة تفهمـني سـواها!»

قال عادل وهو يمسك ببطنه التي آلمته من الضحك:

- «حمقـاء!... أمـا أنـا فقـد خدعـت رجـلاً أبلـه .. زعمـت أنـني فتـاة مرهفـة حساسـة زرقـاء العينـين لا تكـف عـن قـراءة الشـعر والبـكاء .. فتـاة لـم تجـد قـط رجـلاً يفهمهـا أو يصـدق معهـا ..»

وانفجـر الصبيـان ضحـكًا وضربـا كفيهمـا، وللحظـة خطـر لأشرف أن مـا يقولـه عـادل يبـدو مألوفًـا إلى حـد مـا، ثـم نـسي الأمـر كلـه .. المهـم أنـه سـيكون هنـا غـدًا لينعـم بالـكلام مـع تلـك الفتـاة الرقيقـة الحزينـة ..

قال أشرف وهو يشير لرأسه في ذكاء:

ـ «مـن السـهل أن تخـدع أي واحـد عـلى شـبكة الإنترنـت لأنـك لا تضمـن أيـة معلومـات تقـال مـن أي نـوع ..»

قال (عادل):

ـ «لكننا ذكيان ومن الصعب أن يخدعنا أحد ..»

ـ «أحسـنت القـول .. لا تنـس موعدنـا غـدًا لنواصـل

المــرح!!»

ذلك الخنزير موران

كان صديقي هذا نذلاً.. الكل يعرف هذا ويؤمن به.. لقد تخلى عن زوجته وسافر إلى الخارج بدعوى العمل، وهو يعيش حياة عابثة كما يعرف الجميع، ولا يرسل قرشًا لزوجته وأولاده المقيمين في مصر .. يكدس المال بينما أبناؤه جياع بالمعنى الحرفي للكلمة .. فقط زوجته تزعم لنفسها أن زوجها مكافح نبيل وأنه لا يخدعها .. لابد أن تعتقد ذلك حتى لا تجن ..

هكذا صار من المعتاد في أية جلسة لأصدقائنا، أن يصل أحدهم غارقًا في العرق من الخارج فيجلس ويشرب كوبًا من الماء البارد ويقول:

ـ «هل علمتم ما فعله النذل (مروان) مع أخي زوجته؟»

ويحكي قصة جديدة نسمعها في انتباه، ونمصمص شفاهنا ويقول أحدنا:

ـ «يا له من نذل!»

ويقول آخر:

- «المرء يكتشف مع امثال هذا الوغد أنه ملاك مجنح، وأنه طاهر الذيل كالأطفال»

بعد أعوام وعشرات الجلسات المماثلة فطنت إلى أننا في كل مرة نحكي قصة تدل على نذالته ثم نندهش .. ألا يبدو هذا غريبًا؟.. من المفترض أننا أنهينا الدهشة منذ زمن وصار كل شيء قابلاً للتصديق. دعك من أن الموضوع صار مملاً فعلاً.. (يا له من نذل .. كم نحن رائعون) .. هكذا في كل مرة ..

هنا فطنت للحقيقة : أمثال (مروان) هذا مهمون جدًا جدًا لنا، لأنهم يشعروننا بالرضا عن أنفسنا .. يشعروننا بأننا رائعون طاهرون .. هكذا نشعر براحة ولذة كلما سمعنا عن شيء جديد فعله ولم نفعله نحن .. لا يمكن الاستغناء عنه في حياتنا .. إنه لنا كالماء والهواء ..

عندما تشتم (مروان) تشعر بالتفوق والتميز وأنك أفضل .. معنى هذا أن مروان أهم شيء في حياتنا ومن دونه لانتهينا تمامًا .. إنه نموذج البطل الذي (يحب الناس أن يكرهوه) كما يقول الغربيون..

تذكرت قصة قديمة اسمها (ذلك الخنزير موران)

للأديب العبقري (جي دي موباسان)، وتحكي عن غريب جاء إلى قرية فرنسية فوجد أن الناس جميعًا يشتمون (ذلك الخنزير موران).. يقولونها بعد كل وجبة وعند كل لقاء، ويشعرون بعدها برضا شديد ..

عندما تحرى الأمر عرف أن ذلك الخنزير موران مجرد قروي بائس جاء للقرية منذ أعوام، فرأى فتاة جميلة من بناتها. فقد صوابه امام الجمال وطبع قبلة مفاجئة على خدها .. النتيجة أن الفتاة صفعته، وبعد هذا ضربته القرية كلها وطردته، ومنذ ذلك الحين صار رمزًا للأوغاد في هذا العالم .. وصارت زيارة (الخنزير موران) للقرية تاريخًا يربطون به الأحداث ..

يتعرف راوي القصة على الفتاة التي فقد (موران) صوابه معها، ويعجب بها كثيرًا .. ثم يقيم علاقة معها فترحب جدًا، لكنهما لا ينسيان أن يلعنا من وقت لآخر (ذلك الخنزير موران) الذي جلب العار للبلدة ..

كل البلدة تمارس الخطيئة وتنافق وتكذب، لكنهم جميعًا لا ينسون أن يشتموا موران لأن هذا يشعرهم بأنهم أفضل!

تذكرت هذه القصة ونحن نتحدث عن (مروان) النذل.. وشعرنا بالتفوق وحمدنا الله على أننا لسنا هو ..

لكن أحدنا قال متأملاً وهو يبرم شاربه:

ـ «لا أدري ما الـذي يعجـب البنـات الغربيـات فيـه .. أنـا أعتـبر نفـسي أوسـم منـه بمراحـل»

بينما تذكـر آخـر أنـه لـم يعـط زوجتـه نقـودًا منـذ أسـبوع لأنهـا (قليلـة الأدب وغـير مطيعـة). هكـذا رحنـا جميعًـا نهنئـه عـلى حزمـه وقـوة شـخصيته ...

وقال أحدهم:

ـ «نعـم .. نحـن لسـنا أزواجًـا مخلصـين ولا نعـنى ببيوتنـا كمـا يجـب .. لكـن مهمـا انحـدر أحدنـا فبوسـعه أن يقـول في فخـر: أنـا لـم أصر نـذلاً مثـل .. مثـل ....»

قلت أنا من بين أسناني:

ـ «ذلك الخنزير موران»

هنا نظروا لي في حيرة وقالوا:

ـ «من؟»

قلت مصححًا بسرعة:

ـ «أعني ذلك الخنزير مروان»

مـروان يشـبه مـوران فعـلاً.. كيـف لـم ألحـظ هـذا التشـابه

في حروف الاسمين إلا الآن؟..

فليحفظ لنا الله (مروان) من كل سوء ويبقيه لنا، حتى نظل معتقدين أننا على ما يرام وأنه لا بأس بنا!

فلسفة أسماك الزينة

أسماك الزينة كائنات عجيبة لا تجيد أي عمل في الدنيا سوى أن تموت. في الصباح تجد الحوض جميلاً أنيقًا والأسماك تسبح سعيدة راضية تلتهم الطعام وتلتقط الحصى .. عند الظهر تجد ثلاث أو أربع سمكات طافية على الماء وقد انتفخت وصارت جديرة بأفلام الرعب الحديثة، فتتغلب على تقززك وحزنك وتحمل هذه الجثث بالشبكة لتلقي بها في المرحاض، وعند المساء تكتشف أن الحوض لم يعد حوض سمك زينة بل هو وعاء زجاجي لحفظ الماء لا أكثر.

عندما ابتعت هذا الحوض قال لي بائع الحيوانات الأليفة في حكمة:

- «لا تطعم السمك لمدة ساعتين بعد وضعه في الماء لأنه يعاني نقص الأكسجين»

صحيح أنه كان يقول هذا وهو يحمل شبكة مليئة بالأسماك الميتة ليضعها في قفص القطط المنزلية التي يبيعها، لكني قلت لنفسي إنه يعرف ما يقول. وعندما

عـدت لـه لأخـبره أن معظـم الأسـماك ماتـت سـألني في شـك:

ـ «هل أطعمت السمك على الفور؟»

فقلـت لا .. هكـذا هــز رأسـه متعجبًـا مـن جهـلي وأكـد أن هـذا هـو الخطـأ بالـذات .. لابـد مـن إطعـام الأسـماك فـورًا لأنهـا تكـون في حاجـة إلى سـعرات عندمـا تنقـل لميـاه جديـدة. ابتعـت منـه بعـض الأسـماك ممتنًـا لوجود خـبراء في هـذا العالـم، وعـدت لأمـلأ الحـوض مـن جديـد ولـم أنـس أن أضـع للأسـماك الطعـام فـورًا. عندمـا طفـت الأسـماك – وهـو عنـوان فيلـم شـهير لكاكويانـس - عـدت لـه لأفهـم .. تنحنـح بحكمـة القـرون كأن أجـداده كانـوا عمالقـة البحـار، وقـال :

ـ «هل تضيء النور في الحوض طيلة الوقت؟»

ـ «نعم»

ـ «هـذا هـو السـبب إذن .. لابـد ألا يضـاء الحـوض أكـثر مـن ثمـان سـاعات وإلا تكاثـرت الطحالـب»

هكـذا عـدت للبيـت وانتزعـت فيشـة النـور، وتحملـت أن يتحـول الحـوض المضـاء الجميـل إلى كتلـة سـوداء كئيبـة جاثمـة في الظـلام تذكـرني بالتوابيـت. عـلى إنـني عندمـا أعـدت وضـع الفيشـة في القابـس وجـدت أربـع أسـماك

تطفو على السطح وقد انتفخت وتشوهت. عدت للرجل العبقري أطلب رأيه فحك رأسه مستحضرًا حكمة القرون وسألني عن ظروف الإضاءة .. ثم عرف أنني أحمق أطفئ النور أكثر اليوم فقال ضاحكًا:

- «خطأ جسيم .. السمك كالنباتات يحتاج إلى النور .. هذه الأسماك تطفو قرب السطح ولا تنزل للقاع أبدًا ..»

طبعًا كان السبيل الوحيد لعدم قتله هو أن أستعين بغيره .. وقابلت الكثيرين من هؤلاء الحكماء الذين ينصحونني بأن أضيف الكثير من الملح لمياه الحوض ومن ينصحني بألا أضع الملح أبدًا .. وهناك من يعطيني زجاجة صغيرة باهظة الثمن أسكب منها قطرات في الحوض، فإذا فعلت ومات السمك قال لي في جزع: لابد أنك وضعت الدواء ثم أطعمت السمك فورًا .. هذا خطأ ..

الآن وقد صار الحوض جثة هامدة ملقاة على سطح البناية، يستخدمها القط كحمام أحيانًا، عرفت الحقيقة المروعة: لا أحد يعرف شيئًا على الإطلاق .. نحن محاطون بالذين يتظاهرون بالحكمة والعلم، وتكمن عبقريتهم في التملص من الأخطاء المحرجة . هناك تلك الزوجة الأمريكية التي قالت عن زوجها إنه خبير في سباق

الخيـول .. يخـبرك قبـل المبـاراة بالجـواد الـذي سـيفوز ويخـبرك بعـد المبـاراة بسـبب عـدم فـوز هـذا الجـواد! .

كل هـذا يتلخـص تحـت عنـوان كبـير اسـمه (الحكمـة بأثـر رجعـي).

إن البورصـة والمصـارف تعـج بهـؤلاء العباقـرة عـلى كل حـال.. أذكـر أن قريبـة لي وجـدت أن النـاس جميعًـا في مـصر يحولـون نقودهـم إلى دولارات لأن سـعرها سـيرتفع. هرعـت إلى المـصرف لتحـول مبلغًـا ضخمًـا إلى دولارات، فقـال لهـا مديـر المـصرف - وهـو قريـب لنـا - في ذكاء وغمـوض: لا تفعـلي .. سـوف يرتفـع سـعر اليـورو ولسـوف تندمـين. هكـذا عـادت لدارهـا سـعيدة لأنهـا تعـرف رجـلاً حكيمًـا كهـذا .. بعـد شـهرين عـادت للمـصرف مـن جديـد لتبتـاع دولارات فلـم تجـد دولارًا واحـدًا. نظـر لهـا المديـر لائمًـا لبضـع دقائـق ثـم قـال:

ـ «ألـم أنصحـك منـذ شـهرين بـأن تبتاعـي دولارات؟.. ألـم أقـل لـك إن سـعر الـدولار سـيقفز للسـماء فلـم تصغـي لي؟.. عليـك أن تتحمـلي نتيجـة عـدم الإنصـات لي إذن ..»

لـم تسـتطع أن تقـول أي شيء أو تذكّـره بمـا قـال .. كل هـذا عبـث مـع شـخص كهـذا .. هكـذا غـادرت المـصرف وقـد عقـد الغيـظ لسـانها ..

إلا أنـني عندمـا حكـت لي القصـة قلـت إن عليهـا أن تحمـد الله عـلى وجـود هـؤلاء الخـبراء في حياتنـا، فلولاهـم لضعنـا مـنـذ زمـن سـحيق.. دعـك مـن كل سـمك الزينـة الـذي كان سيطفو عـلى السـطح بسـبب جهلنـا!

الندوة الأولى

صديقي هذا الذي أحكي عنه من الطراز الخجول جدًا.. هو أديب موهوب وقد دعته جهة ثقافية مهمة لندوة لتكريمه ، وكانت هذه أول مرة يظهر فيها في ندوة عامة في قاعة كبرى. اتصلت به في داره فعرفت أنه نزل للصيدلية لشراء سم فئران .. ثم عرفت أنه ابتاع كمية كبيرة مريبة من الحبال ويبحث في الأزقة عن شخص يبيعه مسدسًا غير مرخص ...

بصراحة لم أستطع فهم ما يجمع هذه النشاطات جميعًا. ربما عنده فأر ينوي أن يسممه فإن فشل قيده بالحبال وأطلق عليه الرصاص؟..

عندما قابلته صارحني بأنه يفكر جديًا في الانتحار لأنه لم يحضر أية ندوة من قبل ولا يقدر على الاعتذار، ولا يتحمل أن يأتي هؤلاء لمراقبة كل سكنة من سكناته. لكنه خجول جدًا والانتحار يعني أن يلتف عشرات من رجل المختبر الجنائي حول جثته وتظهر صورته في الصحف وتتداولها منتديات الإنترنت. ضحكت كثيرًا وقلت له إنني

كنت أعاني هذه الأعراض قديمًا ثم عرفت كيف أتغلب عليها. العلاج يكمن في عدة نصائح:

١- الخجل ينبع من توهمك لأهمية مبالغ فيها لنفسك.. أنت لست مهمًا كما تعتقد .. لست مهمًا على الإطلاق وليس هناك شخص متفرغ لمراقبة خلجاتك وأخطائك .. لو أنك أخرجت كسرولة ووضعتها على رأسك فلن يهتم أحد أكثر من ثلاث دقائق.

٢- أنت أفضل من يتكلم عن الموضوع لأن أحدًا لم يقرأ كتاباتك كما قرأتها أنت!.. لا أحد يذكر ما كتبته ولا يهتم به ..

٣- حتى لو ارتبكت وتلعثمت سيبدو هذا ضمن غرابة أطوار العباقرة .. تذكر أن نيوتن وداروين لم يكونا قادرين على مواجهة الجمهور، لذا عين نيوتن هالي للرد والكلام بدلاً منه، كما عين داروين هكسلي .. حتى برنارد شو نفسه وهو من هو في طول اللسان وعدم الخجل، اعترف أنه لم يكن قادرًا على مواجهة الجمهور في بداية حياته، وقد حضر دورات في التمثيل كي يتعلم قهر هذا الخجل.

٤- ابحث عن فتاة حسناء بين الحضور وثبت عينك عليها وحدها وكلمها هي دون الآخرين .. كأنك تقول لها:

هـذا الـكلام لـك ولـك وحـدك.

٥- يجـب أن تكـره الجمهـور (مؤقتًـا أثنـاء النـدوة فقـط) ولتشـعر بغيـظ لفكـرة أن هـؤلاء يقيمونـك .. مـن هـم كي يفعلـوا ذلـك؟

٦- لا بـأس بقـرص مـن دواء مهـدئ اسـمه (....) قبـل النـدوة بربـع سـاعة..

قـال لي إن النصائـح تبـدو جيدة، برغـم أن بعضها أقرب إلى السباب العلـني الـذي يعاقـب عليـه القانـون .. أنا باختصـار أؤكـد لـه أنـه لا قيمـة لـه ولا أهميـة، وهـذا كي أعيـد لـه ثقتـه بنفسـه!. أنـت نكـرة فـلا تقلـق مـن شيء .. عـلى كل حـال هـو سـيجرب ويخـبرني بالنتائج.

جـاء موعـد النـدوة ولـم أذهـب للأسـف، لكنـه اتصـل بي بعدهـا وكان سـعيدًا جـدًا .. قـال لي إن نصائحـي كانـت جمـة النفـع ..

ـ «لـم أعـرف مـن قبـل أن مواجهـة الجماهـير أسـهل شيء في العالـم»

الحقيقـة أنـه لـم يكـن هنـاك جمهـور متشـكك ولا حسـناء يوجـه لهـا الـكلام .. لقـد بلغـت لا مبـالاة الجمهـور بـه درجة رائعـة راقـت لـه كثـيرًا، هـي أنـه لـم يكـن هنـاك جمهـور

أصـلاً!.. كان هنـاك ثلاثـة معظمهـم مـن معارفـه، وقـد أراحـه هـذا جـدًا ..

ثانيًا معدتـه استراحت تمامًـا بعـد تنـاول القـرص المهـدئ الـذي وصفتـه لـه. معدتـه؟.. هنـا عرفـت أنـه كتـب الاسـم خطـأ فصـار دواء لعـلاج قرحـة المعـدة!.

هكـذا نجـد أن التجربـة لـم تكـن خـاسرة تمامًـا بفضـل نصائحـي. لقـد حـضر النـدوة وشـفي مـن أعـراض قرحـة المعـدة. وهـذا مـا يدفعـني دفعًـا إلى التفكـير في تأليـف كتاب عـن فـن مخاطبـة الجماهـير .. ألا تـرى هـذا معـي؟

انتقام مؤجل

أثار ذلك الكاتب غيظي بكل ما يكتبه من أكاذيب وما يملأ سطوره من إدعاء، لهذا أعددت مقالاً عنيفًا لا يمكن أن يقرأه من دون أن يصاب بالفالج أو يرفع علي قضية لو ظل حيًا.. واختزنت عشرات الصور الضوئية لمقالاته وما يبدو في كلماته من تناقض واضح، حتى صار نموذجًا لمن يقول ما لا يفعل .. باختصار استعددت بكل شيء، وبقيت تفصيلة صغيرة هي: ما المبرر لنشر مقال كهذا؟.. لو نشرته اليوم بلا مبرر لبدوت حاقدًا موتورًا وربما مجنونًا كذلك ..

المبرر الوحيد هو أن يهاجمني .. ستكون هذه غلطة عمره لأنه بهذا ينبش عش الدبابير وعلى نفسها جنت براقش .. المشكلة أنه لم يفعل .. لم يهاجمني قط، ولهذا أنا انتظر .. أنتظر .. أتابع مقالاته بلهفة وحماسة منتظرًا أن أقرأ الكلمات المحببة .. أن يذكر اسمي مصحوبًا ببعض الشتائم .. عندها يخرج المقال من مخبئه وتفتح أبواب الجحيم ...

إن هذا الموقف يبدو مألوفًا إلى حد ما ..

أنت تعرف طبعًا إنني لا أقرأ مجلة ميكي ولا ألمسها.. ميكي؟.. هذه مجلات أطفال يا صديقي وأنا رجل في العقد الخامس من عمري .. فقط عندما تقع نسخة تحت يدي بالصدفة، ويكون ابني قد نساها على مكتبه أتصفحها في حذر لمجرد أن أعرف ما يقرؤه أولادي .. هذا من حقي طبعًا .. صحيح أن هذا يحدث طيلة الوقت لكنه لا يجعلني من قراء المجلة المنتظمين ..

في إحدى قصص هذه المجلة يقوم العم الثري (سكروج) - الذي يعرفه العرب باسم عم (دهب) - بتحصين خزانته بتكنولوجيا متقنة باهظة التكاليف، ثم ينتظر قدوم أعدائه الأبديين (عصابة القناع الأسود). يرتقب في تلذذ ما سيحدث لهؤلاء الأوغاد عندما يحاولون السطو على ماله .. ينتظر طويلاً جدًا .. إنه سهران جوار المدفع يردد: «العصابة لم تهجم حتى الآن .. إنها عصابة من الكسالى!»

طبعًا تهجم العصابة لكن في الوقت غير المناسب، وتكون النتيجة هي أن الاختراعات لا تجدي نفعًا!. ليس هذا موضوعنا على كل حال. النقطة الأساسية هي أنك تعد أحيانًا انتقامًا جميلاً ممتعًا وتنتظر الفرصة التي

تتيح لـك تنفيـذه، لكـن الطـرف الآخـر يتـصرف بتعقـل يثـير الغيـظ!

أذكـر في شـبابي إنـني كنـت مـع صديـق لي في زيـارة صديـق ثالـث، وكان لصديقـي هـذا دراجـة تركهـا مربوطـة بالجنزيـر أمـام البنايـة .. بعـد قليـل لحقـت بنـا مجموعـة مـن زمـلاء الدراسـة المشـاغبين الذيـن يحبـون تعذيـب صديقـي صاحب الدراجـة هـذا واسـتفزازه .. كانـوا قادمـين في سـيارة واحـد منهـم .. بعـد جلسـة متوتـرة وجدنـا أنـا وصاحـبي أنـه مـن الأفضـل أن نرحـل وغادرنـا المـكان..

على درجات السلم قال صديقي صاحب الدراجة:

ـ «أنـا أعـرف يقينًـا أنهـم ثقبـوا إطـار دراجـتي ليغيظـوني .. لـن يفوتـوا هـذه الفرصـة ..»

ثم مد يده في جيبه ليخرج مطواته وقال:

ـ «لـو فعلـوا هـذا فلسـوف أثقب لهـم إطارات سـيارتهم!.. هـم استحقوا ذلك!»

لكننـا غادرنـا البنايـة فوجدنـا دراجتـه سـليمة تمامًـا لـم تمـس، وحيـث تركهـا .. هكـذا رحلنـا شـاعرين بغصـة في حلقينـا .. قـال لي في غيـظ:

ـ «خسـارة .. ليتهـم فعلـوا ذلـك!.. كان انتقامًـا جميـلاً

فعلاً.. كلما تخيلتهم واقفين في الظلام يحاولون استبدال الإطارات الأربعة الممزقة شعرت بفداحة ما فقدته!»

حتى على نطاق الدول قد يحدث هذا الموقف على نطاق واسع. أنت تعرف أن اليابان كانت موشكة على الاستسلام فعلاً، لكن الولايات المتحدة التي تعبت كثيرًا في إعداد انتقامها النووي لم تتحمل أن تنتهي الحرب من دون أن تستعمله .. هكذا هوت القنبلة على هيروشيما ومن بعدها ناجازاكي .. إن الولايات المتحدة باختصار شديد لم تنتظر حتى تثقب لها اليابان إطار الدراجة!

الآن أنت تفهم لماذا اتابع مقالات هذا الكاتب بحماس واهتمام نادرين .. إنني أنتظر .. وأنتظر .. وأنتظر .. ورعبي الحقيقي هو ألا يهاجمني أو يشتمني ولو مرة واحدة قبل أن أموت!. لو كانت لك علاقة به فلتقنعه بهذا رحمة بي من فضلك!

آراء عبقرية

ترجمت هذا المقال الذي وصلني عبر الإنترنت لأنه يحوي ردودًا غبية لدرجة أنها عبقرية. أعتقد أنه يمكنك التفكير في مزيد من هذه الردود العبقرية:

مس ألاباما التي صارت ملكة جمال أمريكا عام ١٩٩٥. يسألونها: إذا ما استطاعت أن تعيش للأبد فهل تقبل؟.. ولماذا؟

الإجابة: لن أعيش للأبد لأنه لا يجدر بنا أن نعيش للأبد .. لأنه لو عشنا للأبد فلسوف نعيش للأبد.. لكن ليس بوسعنا أن نعيش للأبد لهذا لن نعيش للأبد ..

***

«التدخين يقتل .. وإذا أنت قتلت فقد فقدت جزءًا مهمًا فعلاً من حياتك»

النجمة بروك شيلدز في حملة فيدرالية لمنع التدخين

***

«لـم يسـبق لي أن أجريـت جراحـة ركبـة في أي جـزء آخـر مـن جسـدي»

ونستون بنيت - لاعب كرة سلة

***

«فيمـا عـدا جرائـم القتـل، تظـل واشـنطن تتمتـع بأقـل معـدل جريمـة في البـلاد»

عمدة واشنطن ماريون باري

***

«لـن أتـرك مجموعـة صحفيـين ينبشـون في أوراقنـا .. فنحـن رئيـس الجمهورية»

هيلاري كلنتون

***

«هــذا الوغــد المنحــط يســتحق أن يركلــه جحــش حــتى المــوت، وأنــا الرجــل القــادر عــلى القيــام بهــذا العمــل»

مرشح انتخابات في تكساس

***

«ليس التلوث هو ما يؤذي البيئة، بل ما يفعل ذلك هو الشوائب في الهواء والماء»

آل جور - نائب الرئيس كلنتون

***

«نحن نتأهب لحادث غير متوقع، قد يحدث أو لا يحدث»

آل جور - نائب الرئيس كلنتون

***

«أنا أحب كاليفورنيا .. فقد تربيت بالفعل في تكساس!»

دان كوايل

***

«كلمة (عبقري) لا تنطبق على كرة القدم .. العبقري هو شخص مثل نورمان أينشتاين»

جو ثيسمان - محلل رياضي

***

«نحـن لا نفـرق بـين النـاس .. فقـط نحـن نسـتبعد نوعًـا بذاتـه مـن البـشر»

كولونيل جيرالد ولمان - مدرب في الجيش

***

«لو لم ننجح فنحن نجازف بالفشل»

بيل كلنتون

***

«عادة تأتي أغلب واردات أستراليا مما وراء البحار»

كيبل اندبيري

***

«سـوف تتوقـف كوبونـات الطعـام الخاصـة بـك بـدءًا مـن مـارس ١٩٩٢ لأننـا تلقينـا مذكـرة تقـول إنـك توفيـت. ليرحمـك الله. يمكنـك تقديـم طلـب ثـان في حالـة تغـير ظروفـك»

إدارة التموين - جرينفيل - ساوث كارولينا

***

«لـو أعطيـت رجـلاً سـمكة فلسـوف يصطـاد السـمك يومًـا واحـدًا، بينمـا لـو علمتـه الصيـد لاصطـاد السـمك للأبـد»

دان كوايل – نائب سابق لرئيس الولايات المتحدة

***

«إن لـدي آرائي الخاصة .. آراء قويـة .. لكـني لا أتفـق معهـا دائمًا»

«البيـت الأبيـض أبيـض» قالهـا عندمـا سـأله طالـب بريطـاني عـن رأيـه في البيـت الأبيـض

«لـولا اخـتراع الكهربـاء، لجلسـنا نشـاهد التلفزيـون في ضـوء الشـموع»

جورج . و .بوش

***

أبناؤنا في الخارج

يقـول المثـل المـصري (الـلي يعـرف خـالي يقـول لـه). وفهمـي لهـذا المثـل هـو أن أحـدًا لا يعـرف عـلى الإطـلاق مـا يفعلـه الآخـرون في الخـارج. والنتيجـة المنطقيـة هـي أنهـم يعـودون ليحكـوا لـك عـشرات البطـولات الـتي قامـوا بهـا والأمجـاد الـتي حققوهـا، وأنـت لا تملـك سـوى الإصغاء. مثـلاً صديقـي متوسـط الـذكاء الـذي سـافر للخـارج شـهرين ثـم عـاد ليخـبرني بحصولـه عـلى الدكتـوراه، والمطـرب الـذي يحـكي للصحافـة عـن فـوزه بالجائـزة الأولى في مهرجـان (غنغرينـا) الغنـائي، وكيـف ظلـت القاعـة تصفـق لـه أربـع سـاعات، لدرجـة أنـه راح يطالـع روايـة ونـام قليـلاً إلى أن ينتهـي التصفيـق. دعـك مـن الممثلـة الـتي كانـت ضيفـة الـشرف في مهرجـان (سـالمونلا) للسـينما وكيـف انتحـر عـشرة معجبـين عنـد قدميهـا.. تسـمع كل هـذا ولا تعلـق لأنـك لا تسـتطيع إثبـات شيء ..

تذكـرت هـذا المثـل عندمـا قابلـت المسـتر (محفـوظ) أول مـرة. كان رجـلاً في منتصـف العمـر عائـدًا مـن بريطانيـا.. لـه شـعر طويـل ينحـدر عـلى كتفيه وشـارب كـث غريـب المنظر،

مع عباءة يصر على وضعها على كتفيه بلا داع، وحقيبة تتدلى من ذراعه كسعاة البريد. يتكلم بكثير من الغرور وبلسان معوج عن أمجاده في عاصمة الضباب .. يقول إنه كان أستاذًا للأدب الإنجليزي لمدة عشر سنوات، وكان يدرس الإنجليزية في معهد برليتز، ولهذا يصر على أن نلقبه بـ (مستر).

سألته في نوع من الشك:

ـ «كنت تدرس الإنجليزية للإنجليز؟»

قال في غضب يوشك أن يلتهب فيفترسني:

ـ «هل خدعتك من قبل؟.. وهل تشك في كلامي؟»

بالطبع لا .. لم يخدعني لسبب بسيط هو إنني لم ألقه من قبل. أذكر في ذلك الوقت أن أحد أصدقائي حصل على لعبة جديدة للكمبيوتر، وهذه اللعبة تدور حول مغامرات شاب أمريكي يحاول أن يمضي ليلة في لاس فيجاس. يجب أن تكتب الحوار المناسب لهذا الشاب. طلب الصديق مساعدتي لأن إنجليزيته لا تسمح له بالمواصلة، وهكذا زرته أنا ومستر (محفوظ) هذا ..

كانت العملية صعبة فالمواقف كثيرة في اللعبة، والحوار بالعامية .. لذا كنت أنظر من حين لآخر للمستر محفوظ

طالبًا مساعدته .. ما معنى هذه العبارة؟.. ماذا يريد رجل الشرطة مني؟.. وفي كل مرة أرى على وجهه علامات العته والغباء والتخلف المغولي .. فقط ينظر للشاشة بعينين واسعتين زائغتين ويحرك شفتيه بكلمات غامضة، فإذا اقترحت أنا شيئًا هز رأسه موافقًا ..

ـ «قلت إنك كنت تدرس الإنجليزية للبريطانيين؟»

ـ «وهل تشك في ذلك؟»

بدأت أعتقد أنه كان في روسيا أو بلغاريا، فعصا المكنسة تجيد الإنجليزية أفضل منه. لكن لحظته جاءت في النهاية. في أحد مواقف اللعبة يقابل البطل فتاة ليل وعليه أن يساومها ليقنعها بالذهاب معه إلى فندقه.

هنا فقط عرفت أنني ظلمت المستر محفوظ.. لقد التمعت عيناه وبدا عليه الحماس، ثم أزاحني بكتفه وجلس أمام الشاشة وراح يكتب عبارات عبقرية بلغة إنجليزية مسترسلة سلسة، وبلهجة عامية لم أسمعها قط من قبل ..

الحق إن الرجل كان حجة ..لا أحد يملك هذه الفصاحة ولا هذه البراعة .. رحنا عبثًا نقنعه أن هذا كاف وأننا له شاكرون، لكن الرجل انطلق لا يلوي على شيء وراح يكتب

ويكتب ..

على الأقل أنا أعرف بالضبط الآن ما كان يفعله مستر (محفوظ) في لندن .. إننا ظلمناه كثيرًا. فقط نحن لم نختر له نوع المحادثات التى يجيدها والتي تمرس عليها..

نعم .. لا يمكننا أبدًا أن نعرف ما فعله الآخرون في الخارج، وعلينا أن نصدق ما يقولونه عن أنفسهم أو نبتلعه. هناك قصة طريفة عن الأب الذي أرسل ابنه لباريس كي يدرس الطب ثم بعد عامين قرر أن يزوره في غربته.. راح الفتى الفخور يجوب بأبيه معالم المدينة وهو يشرح له: هنا ملهى كذا الليلي .. هنا مرقص كذا.. هنا بار كذا .. هنا مسرح كذا ..

في النهاية كانت هناك بناية عملاقة عجز الابن عن معرفة كنهها، فهو لم يلحظ وجودها قط قبل اليوم.. هكذا اتجه الأب إلى أحد الواقفين ليسأله عن هذا المكان. قال الرجل:

ـ «هذه كلية الطب طبعًا يا سيدي!»

المزيد من الأقوال الذكية

أستكمل في هـذا المقـال بعـض المقـولات العبقريـة الـتي يمكـن أن تصـير أمثـالاً للأجيـال القادمـة:

الملاكم آلان منتر يقول:

- «بالطبـع هنـاك إصابـات وحـالات مـوت في رياضـة الملاكمـة، لكنهـا غـير خطـيرة»

مرشح الرئاسة الأمريكي السابق (بوب دول):

ـ «الإنترنت طريقة ممتازة لدخول شبكة الإنترنت»

مدرب كرة القدم لفريق فلوريدا (بيل برستون):

ـ «قفـوا أمامـي يـا شـباب بالترتيـب الأبجـدي .. أي حسـب الطـول»

شارل ديجول الرئيس الفرنسي السابق:

ـ «الصين بلد كبير يسكنه الكثير من الصينيين»

دنيس رودمان لاعب كرة السلة :

ـ «الكيمياء هي صف تأخذه في المدرسة الثانوية حيث تتعلم أن ٢ + ٢ = ١٠ .. أو شيء من هذا القبيل»

هاري نيوز - ناقد موسيقي:

ـ «هل في الألبوم أية أغان تروق لك وليست فيه؟»

السفير الفرنسي جاك لي بلان يتكلم عن القنابل الذرية:

ـ «لا أحب لفظة (قنبلة).. هي ليست قنبلة .. هي أداة تنفجر لا أكثر»

عارضة الأزياء لندا ايفانجلستا:

ـ «أنا لا أمارس أي رجيم .. فقط لا آكل الكميات التي اعتدت أكلها»

مدرب الملاكمة لو دوفا يتكلم عن بطل الوزن الثقيل جولوتا:

ـ «هو رجل يصحو يوميًا في السادسة صباحًا مهما كان الوقت»

رتشارد نيكسون الرئيس الأمريكي السابق:

ـ «الحلول ليست هي الإجابات»

صمويل جولدوين:

- «حياة العزاب لا تناسب الرجل الوحيد»

تيري فينابلس:

- «لـو كـرر التاريـخ نفسـه فعلينـا أن نتوقـع حـدوث ذات الأشـياء»

تحذير على بدلة الرجل الوطواط المباعة للأطفال:

- «تحذير .. العباءة لا تمكنك من الطيران»

جورج والاس من أعضاء الحملة الانتخابية لعام ١٩٦٨:

- «لقـد درسـت السياسـة الخارجيـة بجـد .. الآن أعـرف عـدد قـارات العالـم»

دان كويل - نائب سابق لرئيس الجمهورية:

- «حان الوقت كي يدخل كوكبنا المجموعة الشمسية!»

معلق في الراديو:

- «سـمعنا أنـه بعـد أول جراحـة زرع قلـب في بلجيـكا، فـإن المتـبرع والمتلقـي كليهمـا بخـير»

لافتة على الطريق رقم ٢٧ بالولايات المتحدة:

- «ممنوع مرور المركبات المسموح بمرورها»

رون أتكنسون – رياضي:

ـ «أنا لا أعلق على رأي الحكام، ولن أغير هذه العادة من أجل غبي كهذا»

دان أزينسكي - لاعب بيزبول أمريكي سألته الساقية إن كانت تقطع له فطيرة البيتزا لست أم ثماني قطع:

ـ «اجعليها ست قطع .. فلا أقدر على أكل ثمان»

ديفيد كولمان – معلق رياضي:

ـ «هذا هو موزس كيبتانوي.. الكيني ابن التسعة عشر عامًا الذي صار ابن عشرين عامًا منذ أسابيع»

مشغول

اليوم أنا مشغول فعلاً..

ليست لدي سكرتيرة تحمل مفكرة وترافقني، وليس لدي جدول أعمال، لهذا لا أعرف فعلاً كيف يعيش هؤلاء القوم المهمون ولا كيف ينامون في النهاية .. أنا شخص عادي جدًا لكني بالفعل موشك على الجنون من كثرة ما يجب عمله..

لدي مفكرة صغيرة تخبرني بأعمال اليوم.. تطالعني مع استيقاظي من النوم لتخبرني بالكارثة:

١- الرد على خمسة خطابات مهمة.

٢- كتابة هذا المقال.

٣- مراجعة دروس الفرنسية مع ابني الصغير.

٤- شراء هدية عيد ميلاد خالة عمة ابن خالة زوجتي.. لو لم أتذكرها لخرب بيتي.

٥- شراء أقلام جديدة وممحاة لأن الأولاد أبادوا ما لدي

منها .

٦- شراء الخضر واللحم والبقالة.

٧- تجديد رخصة السيارة.

٨- القيام بعملي الأصلي طبعًا.

أبدأ اليوم بالذهاب لإدارة المرور فأجد زحامًا مريعًا .. لا يمكن أن أضيع وقتي هنا فأنا إنسان مشغول .. ربما يجب الذهاب لعملي والمحاولة في وقت آخر. في الطريق أتلقى مكالمة هاتفية من صديق يطلب خدمة .. أدون ما طلبه مني، في ذات اللحظة التي يوقفني فيها رجل المرور ويأخذ رخصتي لأنني أستعمل الهاتف المحمول أثناء القيادة. أبتاع من المكتبة هدية خالة عمة ابن خالة زوجتي لكن زوجتي تطلب مني أن أبدلها لأن ذوقها رديء لا يروق لخالة عمة ابن خالة زوجتي، وهكذا أعود للمكتبة لأجدها مغلقة .. بالمناسبة نسيت الأقلام والممحاة التي اشتريتها بالداخل ..

أقرر الرد على الخطابات فأكتشف أن الكمبيوتر معطل.. اتصل بالصيانة فيطلبون مني أن أحضر الجهاز لهم. هذا يعني أنني لن أرد اليوم .. أبدأ كتابة هذا المقال على جهاز آخر، ثم أتذكر أنني لم أشرح الفرنسية لابني..

أناديه ليحضر كتابه معه .. هناك قاعدة جديدة في اللغة الفرنسية اخترعها الفرنسيون أمس كما يبدو، وهي تصريف الفعل الذي كان سيحدث في الماضي لكنه حدث في المستقبل كذلك.. لا أفهم شيئًا على الإطلاق، لكني مصر على ألا أجلب له مدرسًا خصوصيًا .. أنا مثقف ولسوف أفهم هذه القاعدة بنفسي ..

آخذ الكتب معي إلى مكتبي هنا أتذكر أنني لم أشتر الخضر واللحم والبقالة .. أنزل للشارع لأكتشف أن إطار السيارة قد فرغ من الهواء.. سيكون علي أن أجد من يبدله لي لأنني لا أملك رافعة. يجب أن أبتاع رافعة .. يتصل بي صديقي ليكرر الطلب السابق فأعده بأن أنفذه له .. يا خبر!.. وسط هذه الفوضى نسيت أن أذهب لعملي الأصلي .. سيكون علي تقديم إجازة غدًا ..

الآن جاء الليل .. وقد اكتشفت أن لدي قائمة جديدة:

١- خدمة صديقي هذه ويعلم الله كم هي عسيرة.

٢- استرداد الرخصة التي سحبوها مني.

٣- إعادة الهدية للمكتبة واستبدالها.

٤- استرداد الأقلام التي نسيتها.

٥- أخذ الكمبيوتر لشركة الصيانة.

٦- دراسة القاعدة الفرنسية الجديدة العجيبة.

٧- تقديم إجازة عن اليوم الذي تغيبت فيه.

٨- إصلاح إطار السيارة وشراء رافعة.

٩- البحث عن شيء يؤكل في البيت لأن زوجتي لم تطه شيئًا لأنني لم أبتع أي شيء.

لاحظ أن هذه القائمة سوف تضاف لقائمة اليوم، وغدًا تضاف لهذا كله قائمة الغد .. أي أن علي غدًا أن أقوم بـ ٢٥ مهمة صعبة على الأقل ، والويل لي لو حدثت تراكمات جديدة!. كل هذا وأنا رجل عادي ولست رئيس جامعة ولست وزيرًا أو رئيس منظمة في الأمم المتحدة ..

أعرف ما سوف تنتهي له الأمور غدًا .. سوف أمزق القائمة كلها وأجلس أمام التلفزيون طيلة الأمسية. هذه هي الطريقة الوحيدة وهي تنجح على الدوام كما تعرفون!

لأني تأخرت جدًا

كل عـام وأنـت بخـير .. لا أعـرف يقينًـا إن كنـت ستقرأ هـذا المقـال قبـل العيـد أم بعـده، لكـني أسـجل موقفـي اليـوم بوضـوح وصراحـة: كل عـام وأنـت بخـير ..

عندمـا يقـترب العيـد، تنشـأ مشـكلة أسريـة تتزايـد حدتهـا يومًـا بعـد يـوم: شراء الخـروف .. يبـدو الأمـر سـهلاً فالخراف في كل مـكان وعنـد كل جـزار ومبلـغ الجمعيـة الـتي قبضتهـا في جيـبي، لكـن أصحـاب الخـبرة يقولـون إنـني أحمـق تأخـرت أكـثر مـن الـلازم وإن فرصـة شراء خـروف جيـد ضاعـت للأبد..البعـض يقـول إنـه كان عـلي أن أبـدأ منـذ عـام.. أي بعـد عيـد الأضحـى السـابق، والبعـض يقـول إنـه كان عـلي أن أبـدأ منـذ ثلاثـة أعـوام .. أعتقـد أن الـذي يزعـم أنـه كان عـلي البـدء وأنـا في سـن المراهقـة يبالـغ نوعًـا. دائمًـا أنـت متأخـر .. دائمًـا أنـت ضيعـت الفرصـة .. دائمًـا الخـراف الـتي تمـلأ الشـوارع الآن هـي أسـوأ خـراف ممكنـة ولحمهـا مسـمم ومصابـة بالسرطـان والفشـل الكبـدي الكلـوي . ولكـن مـن الـذي يشـتريها إذن؟.. لابـد أن هنـاك مـن يفعـل .. يقولـون لي: يشـتريها البلهـاء وأنـت لا تريـد أن تكـون منهـم ..

هكـذا يتصـل صديـق بصديـق وهـذا الصديـق يتصـل بصديـق .. وتـدور مفاوضـات غامضـة تشـبه عمليات تهريب السـلاح الـتي تمولهـا المافيـا. وفي النهايـة يظهـر رجـل غامض يخـبرني وهـو يتلفـت حولـه والعـرق يغمـره أن هنـاك مـن يـربي خرافًـا ممتـازة عـلى سـطح دارهـم. هكـذا أذهـب إلى العنـوان المريـب ليعطـوني خروفًـا لا أجـد فيـه أيـة مزيـة فهـو يشـبه أي خـروف آخـر، دعـك مـن أنـه أغـلى مـن أي خـروف عنـد الجزاريـن .. يقولـون لي في غمـوض إن هـذا مـا أعتقـده لأنـي سـاذج .. في الواقـع هـم أعطـوني جوهـرة ..

أعـود بهـذا الخـروف المذهـل للبيـت في سـيارة نصـف نقـل. طبعًـا لا يوجـد مـكان يصلـح سـوى سـطح البنايـة .. لابـد مـن ربطـه بحبـل قـوي محكـم لأن للخـراف هوايـة غريبـة هـي الانتحـار مـن أعـلى البنايـة عندمـا يصعـد الجـزار السـلم صبيحـة العيـد.

هـذا مـا أعتقـده طبعًـا حـتى أصعـد في الصبـاح لأضـع لـه الطعـام لأكتشـف أنـه تحـرر مـن الحبـل، وأنـه سريـع جـدًا وأنـه مفـترس كوحـش المينوطـور في الأسـاطير الإغريقيـة. مطـاردة عنيفـة جـدًا عـلى السـطح وأنـا أحـاول الفـرار مـن قرنيـه وحوافـره بينمـا هـو مصمـم عـلى تمزيقـي إربًـا . تصعـد زوجـي عـلى صـوت الجلبـة فتصـاب بالذعـر وتتوسـل لي:

ـ «لا تجعله يجري!.. أمي تقول إن الجري يتلف لحمه!»

أنجـو منـه بمعجـزة، وأحكـم ربطـه بحبـل غـير قابـل للمضـغ بمعجـزة أخـرى بينمـا تلومـني زوجـتي عـلى تأخـري في شراء الخـروف .. لـو اشـتريته مبكـرًا لاسـتغنينا عـن هـذه المشـاكل ..

طبعًـا أنـا مرهـق جـدًا فـلا أسـتطيع سـؤالها عـن العلاقـة بـين التأخـر في شراء الخـروف وسرعتـه في الجـري وولعـه بمـذاق الحبـال. عـلى كل حـال أقـرر أن أعهـد لهـا بمهمـة إطعامـه .. المهمـة الـتي تقـوم بهـا بكفـاءة فعـلاً لأنـني لـم أسـمع صرختهـا وهـي تسـقط مـن أعـلى ولا مـرة ...

يـأتي عيـد الأضحـى .. بعـد الصـلاة أقابـل وسـط بحـيرات الـدم الـتي تغطـي الشـوارع ذلـك الجـزار الـذي تتـدلى السـكاكين والشـواطير مـن حزامـه. أطلـب منـه أن يرافقـني لذبـح هـذا الخـروف .. يصعـد معـي إلى السـطح ويـرى الخـروف فينفجـر في الضحـك:

ـ «هـل اشـتريته مـن (عبـاس أبـو شـفة)؟..الـذي يـربي الخـراف عـلى سـطح البنايـة؟»

ـ «نعم ..»

ـ «هع هع!»

لا أفهـم سـبب كل هـذا المـرح ولا مـا هـو مضحـك في الموضـوع.. فقـط أسـمعه يقـول في سره: ربنـا يعـوض عليك. ثـم ينقـض عـلى الخـروف ليفتـك بـه في ربـع ثانيـة. ثـم يقـول لي وهـو يعـد مالـه وينـصرف:

ـ «معلـش .. ربنـا يعـوض عليـك هـذه المـرة.. يبـدو أنـك بـدأت متأخـرًا جـدًا ..في العـام القـادم لـو أحيانـا الله قـل لي منـذ آخـر رمضـان كي أجـد لـك خروفًـا حقيقيًـا ..»

ـ «وهل هذا الخروف ليس حقيقيًا؟»

ـ «هع هع»

وينـصرف دون أن أفهـم. عـلى كل حـال لـم أر أيـة مشـكلة حـتى هـذه اللحظـة .. فقـط كلمـا أعـدت زوجـتي طبقًـا لا يـروق للضيـوف أو أمـي قالـت لي:

ـ «لأنـك تأخـرت جـدًا!.. هكـذا انتهـت الخـراف الجيـدة مـن السـوق، ثـم أنـه جـرى خلفـك كثـيرًا»

لهـذا أفكـر جيـدًا في أن احجـز خـروف العـام القـادم غدًا.. صحيـح أنـني قـد أمـوت فـلا أذوق منـه قطعـة واحـدة، والأدهـى أن يمـوت الخـروف نفسـه، لكـن لابـد مـن بعـض المقامـرة في لعبـة الحيـاة كي نجـد الخـراف الأفضـل قبـل أن يأخذهـا الآخـرون.

رجل في الوسط

ذات مرة اضطرتني الظروف واضطرني النحس إلى المشي في حي عشوائي مرعب على أطراف المدينة، فلاحظت أن سكان الحي الفقراء ينظرون لي نظرة شرسة متوعدة .. النساء يرمقنني في شك وكراهية، والأطفال يركضون خلفي لكن على مسافة معقولة لأنهم خائفون مني، والفضول يمنعهم من الابتعاد. هنا فطنت إلى أنني أبدو أنيقًا متغطرسًا أكثر من اللازم .. أكثر مما يستريحون له. ولا أعرف كيف نجوت من هذه المغامرة على كل حال.

بعد أسبوع كان علي أن أقابل رجلاً في أحد الأحياء شديدة الرقي والثراء.. سيارات فاخرة من أحدث موديل، بحيث بدت سيارتي جوارها أقرب إلى صندوق قمامة ألقاه أحدهم هناك. لاحظت نظرات الدهشة والعدائية التي يصوبها لي كل من ألقاه هناك، وعندما أردت دخول تلك البناية استوقفني حارس الأمن ليعرف من أنا بالتفصيل. نظرت لنفسي في المرآة العملاقة خلف الحارس فعرفت السبب .. أنا أبدو رث الثياب مريبًا وفقيرًا أكثر من اللازم..

هكـذا عرفـت أنـني أنتمـي لمعسـكر الوسـط في كل شيء.. ليـس لي مـكان في مجتمـع الأثريـاء لكـن مجتمـع المعدمـين لا يقبلـني كذلـك ..

لـو تهـددك واحـد وأنـت في معسـكر الأثريـاء فـلا مشـكلة لأن البـودي جـارد الخـاص بـك مـن الرجـال صلـع الـرءوس ذوي السترات السـوداء سـوف يحيطـون بـك لحمايتـك، ولـو تهـددك واحـد وأنـت في معسـكر الفقـراء فلسـوف يحيـط بـك أفـراد عصابتـك المدججـون بالعـصي الثقيلـة والجنازيـر وزجاجـات الحمـض.. أمـا عندمـا تكـون في الوسـط فأنـت تُـضرب في جميـع الحـالات ..

في أيـام الكليـة كنـت أحـب (هيـام) زميلـتي، وكانـت تعجب بحيويـتي وشـبابي لكنهـا لا تعجـب بفقـري وإفـلاسي، وتـرى أنـه مـن الشـجاعة الخارقة الـتي تدنو مـن الوقاحـة أن أتقدم طالبًـا يدهـا مـن أهلهـا. أبي قـال لي إن هذا مسـتحيل.. وهكذا قـررت أن ألعـب دور الفـتى الـذي تحطـم قلبـه، وسـهرت أيامًـا أكتـب الشـعر الـرديء جـدًا وأشرب أكوابًـا مـن الشـاي الثقيـل الأسـود .. تؤلمـني معـدتي مـن الشـاي فأحسـب هـذه آلام الجـوى وقـروح الفـؤاد الـتي يتكلمـون عنهـا.

قضيـت عمـري أحـاول جمـع المـال .. ثـم صـار لـديّ مـا يسـمح بـأن أطلـب يـد (هيـام).. بحثـت عنهـا فوجدتهـا قـد

صارت امرأة بدينة مرعبة ولديها خمسة أطفال لا تكف عن صفعهم .. هنا وجدت فتاة تشبه (هيام) الشابة تمامًا .. لها نفس الطباع ونفس اللمسة الرقيقة الحزينة. طلبت أن أتقدم لها لكنها نظرت لي في تأمل طويل، ثم قالت:

- «أنت في وضع مادي لا بأس به، لكن معذرة .. لا توجد شعرة واحدة سوداء في رأسك .. ألم يخطر لك أنك لو تزوجت في سن العشرين لكانت عندك ابنة في سني؟»

ثم راحت تمتحنني:

- «هل تعرف آخر أغنية لـ (تامر حسني)؟.. ماذا تعرف عن (جورج وسوف)؟.. ما هو تشكيل خط الوسط للفريق الأهلي؟.. ما هو آخر فيلم لليوناردو دي كابريو؟»

طبعًا لم أنطق ..

معها حق ..

أنا في معسكر الوسط .. السن الوسطى حيث لم يعد بوسعك الظفر بهيام، ولا تريد واحدة أخرى تصفع أطفالها ثلاث مرات يوميًا ..

حتى لو قررت الزواج بلا حب ... أنت لن تتزوج (عطيات) الفتاة الفقيرة الجميلة حارة العواطف فهي ليست من طبقتك، ولن تتزوج (إنجي) الفتاة الأرستقراطية المدللة التي تلعب التنس وتسافر لأوروبا مرتين كل عام.. سوف تتزوج عروسًا من الطبقة الوسطى هي (إلهام) ابنة الأستاذ عبد الجواد معلم الجغرافيا، وهي تؤمن أن الارتباط بك ثمن باهظ لابد من دفعه مقابل الظفر ببيت وأطفال .. توطئة لأن تصير أمًّا لخمسة أطفال تصفعهم طيلة اليوم ..

نعم .. مشكلة أن تكون رجلاً في الوسط مشكلة عويصة في علم الاجتماع، تحتاج إلى مقال أطول. لكنني لن أستطيع المرور عليها مر الكرام كما يفعل الرجل العادي، ولن أستطيع كتابة دراسة أكاديمية متخصصة عنها، لأنني في الوسط بالضبط بين الجاهل والأكاديمي!

الفيزياء الخفية

هناك قوانين غامضة خفية تحكم حياتنا، ولم يحاول أحد قط أن يقيسها أو يدرسها بعناية، لكنك لاحظت بعضها من قبل: مثلاً لماذا لا يدق جرس الهاتف إلا وأنت في الحمام؟.. لماذا لا تسقط الأقلام الثمينة إلا على سنونها؟.. وقد لاحظ الغربيون هذه القواعد الغامضة ووصفوها.. واليوم أقدم لك بعضها :

قانون البساط: سمك البساط الفاخر في غرفة المسئول الذي تقابله يدل على حجم المشكلة التي أنت متورط فيها.

قانون الطابور: عندما تغير الطابور فإن الطابور الذي تركته سوف يتحرك أسرع من الطابور الذي انضممت له.

قانون الهاتف: عندما تطلب رقمًا خطأ فمن المستحيل أن تكتشف أنه مشغول!

قانون الميكانيكية: بعد ما تتسخ يداك بالشحم وأنت تصلح شيئًا، تشعر برغبة كاسحة في حكّ أنفك.

قانون الورشة: أية أداة تسقط في الورشة سوف تتدحرج إلى الركن الذي يستحيل الوصول له.

قانون التغيب: لو قلت لرئيسك في العمل إنك تأخرت لأن إطار السيارة فرغ من الهواء، فلسوف تجد إطار السيارة فارغًا من الهواء فعلاً في اليوم التالي.

قانون الحمام: عندما تغمر جسدك بالماء في المغطس يدق جرس الهاتف.

قانون اللقاءات اللصيقة: تزداد فرصة لقاء شخص لا تريد أن تراه، كلما كنت مع شخص لا تريد أن يراك أحد معه!

قانون النتيجة: عندما تحاول أن تقنع شخصًا بأن هذا الجهاز لن يعمل، فإن الجهاز يعمل بالتأكيد.

قانون الميكانيكا الحيوية: قوة الحكاك الذي تشعر به يتناسب مع صعوبة الوصول لموضع الحكاك لهرشه.

قانون السينما: الناس الذين حجزوا مقاعدهم بعيدًا عن الممر يصلون متأخرًا ..

قانون القهوة: ما أن تجلس أمام قدح القهوة حتى يطلبك رئيسك في عمل لن ينتهي حتى تبرد القهوة .

قاعدة الطاقة: لا يعتقد أحد أن السيارة المستعملة اقتصادية في استهلاك الوقود باستثناء البائع.

دستور المحادثة: لو أردت ألّا يسمع أولادك ما تقوله، فتظاهر بأنك توجه لهم الكلام.

قانون العزاء: العزاء الوحيد لمن يبلغ سن الخمسين هو اطمئنانه أنه لن يموت شابًا.

لغز الثقوب: أصغر ثقب يمكنه إفراغ أكبر إناء، ما لم يكن الهدف منه هو التصريف أصلاً لأنه ينسد عندئذ فورًا!

قانون المحامين: عندما يعمل محام واحد في بلدة فإنه لا يكسب ما يكفيه، بينما لو تواجد محاميان فإنهما يعملان بلا توقف!

قانون القطارات: لو وصلت للمحطة مبكرًا تأخر القطار بينما لو وصلت متعجلاً فاتك القطار.

قانون اللحظة: لولا اللحظة الأخيرة لما أنجز البشر أي عمل .

قاعدة المسئولين: المسئولون الوحيدون الذين تفيدك مقابلتهم فعلاً لا يقابلون الناس.

قانـون إيقـاف السـيارة: لـو وجـدت بسـهولة مكانًـا توقـف فيـه سـيارتك، فأنـت لـن تجدهـا فيمـا بعـد.

قانـون الصحيفـة: الصحيفـة الـتي وضعتهـا عـلى الأرض لتمنـع تسـاقط الطـلاء بهـا أخبـار مهمـة فعـلاً.

هذه بعض القوانين وأعدك بالمزيد في مرات أخرى!

لا تحكوا لي

يبدو أن ملامحي تعطي انطباعًا بالصبر والسلام أو ربما البلاهة، مما يغري الناس جميعًا بتعذيبي بلا توقف، من منطق إنهم لابد أن يعذبوا شخصًا ما..

هناك ذلك الرجل الذي يقول لي إنه يهوى أكل الدهون برغم إن الطبيب أوصاه بالامتناع عنها لأن قلبه مريض جدًا ولأن شرايينه التاجية تحولت إلى أنابيب من الزبد. أقول له في حكمة إنه من الأفضل أن يمتنع عن أكل الدهون .. فيقول في حماس وهو ينثر لعابه في وجهي:

ـ «أنت لا تفهم ما قلت لك ... شراييني التاجية مسدودة تمامًا .. هذا الكولستيرول موشك على قتلي»

ـ «هذا يؤكد وجهة نظر الطبيب ..»

ـ «بل يؤكد أنك لا تصغي لي .. أنا أحب الدهون ... هذه نقطة .. والنقطة الأخرى هي أن شراييني التاجية مسدودة ..»

أقول له في صبر إن عليه الاختيار بين الاستمتاع بالدهون

أو الاستمتاع بالشكوى من حال قلبه .. لا يمكن أن يجمع بين الحسنيين أبدًا .. دهن لذيذ أو قلب سليم.. لا يوجد حل ثالث ..

فيستغفر الله ويتنهد ويأخذ شهيقًا عميقًا يعينه على الصبر، ويقول:

ـ «لكن شراييني التاجية في حال سيئة جدًا .. هل فهمت أخيرًا؟..»

ـ «هل تقصد أن وضعك لن يزداد سوءًا، وإن من الأفضل أن تستمتع بكل شيء ما دامت هذه هي النهاية؟»

فيبصق على الأرض في غيظ:

- «يا أخي فأل الله ولا فألك .. أنت رجل مثقف ويجب أن تنتقي كلماتك .. أنا أحب الدهون .. بل إنني آكل الزبد مباشرة بلا خبز، وأمقت شرائح اللحم الأحمر ..»

ـ «فلتنعم بالدهن إذن ..»

ـ «لكن هناك مشكلة شراييني التاجية .. أنت رجل متعلم وطبيب ومستحيل أن تجهل خطر ذلك على صحتي ..»

في النهاية تكتشف أنك أضعت ساعة كاملة ولم تفهم

بعد ما يريد ..

خذ مثلاً صديقي هذا الذي يصر على أن يحكي لي حلمًا رآه .. يحكيه على مدى ساعة ونصف تقريبًا:

- «كنت أنا وسيد عبد الحفيظ نمشي في بستان مليء بالأزهار .. ثم هبط أبي من السماء بجناحين وهو يلبس ثوبًا أبيض في أبيض .. أنت تعرف أن أبي كان مدمن مخدرات ممتنعًا عن أداء الشعائر الدينية مولعًا بالنساء ويختلس أموال الشركة التي يعمل فيها، لكني كنت مؤمنًا بأنه نقي النفس وأن مثواه الجنة برغم كل شيء.. نزل أبي من السماء ودعاني لأكل الفاصوليا.. غريب أن يذكر الفاصوليا بالذات فهو كان يحبها. ثم ظهرت عمتي وهي تمشي مع جيفارا .. جيفارا الثائر الشهير .. أنت تعرفه .. كان فمه – فم جيفارا لا أبي - ملوثًا بالفاصوليا وعرض علي أن أشاركه الأكل .. ثم ظهر الإسكندر الأكبر وأعلن أنه يحب عمتي وبدأ يتبارز مع جيفارا بالنبابيت .. هذا لا يروق طبعًا لسيد عبد الحفيظ .. أنت تعرف طبع سيد عبد الحفيظ .. لهذا ركب النعامة وانطلق ...»

طبعًا أستمع له وأنا أرسم ابتسامة اهتمام على وجهي، مع ترديد:

- «إم م .. ام ممم .. إم م ...»

وطبعًا لا أستطيع أن أخبره أنني لا أذكر شيئًا عن سيد عبد الحفيظ ولا طباعه التي تجعله يركب النعام عندما يغضب ..

بعد يوم واحد يتصل بي هاتفيًا وأنا مشغول جدًا، ليقول لي في ذهول:

- «يبدو لي أن أبي يناديني من القبر .. حلمت أمس أنني آكل معه الفاصوليا، وهو يقول لي: كف عن الأكل يا حبيبي فقد تأخرت عن موعدك .. هنا ظهر سيد عبد الحفيظ، وأنت تعرف طباعه .. لهذا طلب مني أبي أن ننهي الجلسة فورًا .. وصحوت من النوم ومذاق الفاصوليا على شفتي.. مستحيل أن يكون هذا حلمًا .. هذا ليس حلمًا ..»

لا أذكر كم مرة حكى لي هذا الحلم منذ العام ١٩٧٨ وبرغم هذا لم يمت للأسف ولم يلب نداء أبيه قط. لا أجرؤ على أن أصارحه برأيي هذا ولا إنني مقتنع برأي فرويد حول أن الأحلام عادم يخرج فضلات الروح ورغباتها المكبوتة لا أكثر .. ربما هو يأكل الفاصوليا في الحلم لأنه فعلاً يتمنى أكل الفاصوليا .. لكن كلامه ينبع من اعتقاد كل إنسان إنه ليس حيوانًا كمن حوله، وإنه يتمتع بدرجة عالية من النقاء والشفافية والاتصال

بالأثـير..

ـ «ليس هـذا بأغـرب من حلـم آخـر .. هـل تذكـر (مـروة) زوجـتي الأولى؟... بعدهـا تزوجـت (عفـاف) ثـم (هالـة) ثـم (عـزة) ثـم (ناديـة) ثـم (سـامية).. لكـن مـروة ظلـت في خاطـري .. أمـس رأيتهـا .. الـخ .. الـخ ...»

وتبـدأ وصلـة حلـم جديـدة مدتهـا سـاعة ونصـف .. الرحمة مـن فضلـك .. القنـوات الفضائيـة تقـدم فاصـلاً ثـم تعـود.. الثلاجـة الكهربيـة يسـتريح موتورهـا مـن وقـت لآخـر .. لكـن صاحـبي هـذا مسـتمر للأبـد ..

أرجـو مـن الجميـع أن يترفقـوا بي، فـلا يفرطـوا دون هـدف في اسـتخدام هـذا العضـو الطـري الزلـق المسـمى باللسـان، فـإن لـم يسـتطيعوا فليحكـوا لي مواضيـع ليس فيهـا فاصوليا أو دهـن أو سـيد عبـد الحفيـظ!

غدًا أجد ما يلهمني

اليوم قررت أن أكتب روايتي العظمى .. الرواية التي ستضمن لي جائزة نوبل للعام القادم. ربما تتوقف جائزة نوبل نهائيًا لأن اللجنة ستجد أن هذه ذروة الإبداع البشري ولا ذروة بعدها ..

ابتعت جهاز كمبيوتر محمولاً كلفني ألف دولار، ورحت أمشي به في كل مكان بانتظار لحظة الإلهام العظمى.. يجب أن أراقب الحياة .. سوف تلهمني الحياة .. (تشيكوف) استوحى شخصية مهمة جدًا من مدير مكتب بريد مولع بالصراخ والسباب .. (بهاء طاهر) كتب واحة الغروب عندما قرأ عن حادثة تدمير معبد فرعوني في عصر (عرابي). يجب أن أفتح عيني جيدًا ..

بينما أنا أتأهب للنزول اتصلت بي (هيام) لتقول بصوت مبحوح: «عرفت أنني أصبت بالايدز .. لقد أصابني زوجي بالعدوى .. أعرف الآن أنه يخونني .. سوف أنتحر الآن بابتلاع مئة قرص من البانادول ..»

نصحتها بعدم الانتحار لأن الحياة جميلة ووضعت

السماعة .. لا وقت عندي لهذا السخف .. أنا أشق الطريق نحو المجد الأدبي.

على الدرج قابلت جاري (سليمان) .. كان مذعورًا وقال لي وهو يلطم خديه: «الخزانة سرقت!.. ربع مليون جنيه سرق، والغريب أن السارق لم يفتح باب الشقة ولا النافذة .. كيف فعل ذلك؟»

نصحته بأن يطلب الشرطة فلا وقت لدي ..

ركبت سيارتي وكدت أدير المحرك، عندما سمعت من يصرخ .. ومن تحتها وثب ذلك الشاب شرس المظهر والذي يحمل (بنسة) في يده .. يبدو أنه كان يريد أن يقطع شيئًا عندما فوجئ بي أركب السيارة .. يتلف الفرامل؟.. وما السبب؟

في الطريق للعمل قابلت زحامًا شنيعًا مع قدر لا بأس به من الذعر. قال أحد المتسكعين دون أن أسأله:

ـ «طبق طائر كاد يهبط في وسط الميدان .. الكثيرون رأوه.. لكنه كما ظهر فجأه اختفى فجأة .. الناس حائرة بين الشعور بأنه حقيقي وبين الشعور بأنها هلوسة ..»

هنا قال رجل آخر:

ـ «ولو كانت هلوسة فما سببها؟.. هل ألقى أحدهم

بغـاز معـين علينـا؟»

بصراحـة لا وقـت عنـدي لهـذا السـخف .. طبـق طائـر؟.. كلام شـديد السـوقية ...

عندمـا دخلـت الشركـة وجـدت ضوضـاء ورجـال شرطـة في كل مـكان .. قالـوا لي إن مديـر الحسـابات اختلـس مـالاً وعندمـا انكشـف أمـره أغلـق المكتـب عـلى نفسـه وفجـر رأسـه بالرصـاص ..

لمـاذا تـصر هـذه الأمـور عـلى أن تقـع اليـوم؟.. اليـوم الـذي قـررت فيـه أن أكـون أديبًـا عظيمًـا؟

تتقـدم مـني (لميـاء) صديقـتي في العمـل .. تقـول إنهـا تحبـني بجنـون وتريـد أن أتزوجهـا.. أنـا مـتزوج وهـي كذلـك، لكنهـا حصلـت عـلى الطـلاق مـن زوجهـا وتريـد أن تكـون زوجـة ثانيـة لي .. قلـت لهـا في ذعـر:

ـ «كان عليـك أن تخبريـني قبـل الطـلاق .. مـن قـال إني أحبـك؟»

ـ «إذن أنت لا تحبني؟»

وانفجـرت في البـكاء وغـادرت المكتـب .. لـو وثبـت مـن النافـذة لـكان هـذا يـوم الانتحـار العالمـي فعـلاً...

بعد رحيل الشرطة هجم على الشركة مجموعة من الرجال المسلحين ببنادق آلية وهم كذلك ملثمون ، وطلبوا من الصراف أن يملأ لهم حقيبة بالمال .حاول أحد الموظفين أن يطلب الشرطة ودوت السرينة تحت النافذة، لهذا اضطر اللصوص إلى أخذ (لمياء) رهينة معهم .. جميل أنها لم تنتحر لكن أرجو أن يقتلوها لتستريح ..

بعض الهدوء أرجوكم .. أريد بعض الهدوء .. أريد أن أؤلف قصتي ..

عامل بالشركة يدخل ليصرخ .. يؤكد لي أن شبح رجل مقتول يظهر في المطبخ .. يبدو أن هذا الرجل كان عاملاً سابقًا وقد اشتعلت فيه النيران فلم يستطع الهرب .. منذ تلك اللحظة يظهر في المطبخ كل ليلة .. الجديد أنه يحاول إشعال الموقد وحرق العامل الجديد ..

هذه المرة فاض بي فأغلقت الكمبيوتر وغادرت المكان متسللاً ..

في طريقي للبيت خيل لي أن ذلك الطبق الطائر يقف في الميدان فعلاً، وكائنات خضراء اللون لها هوائيان على الرأس تخرج منه لتخاطب الناس وهي تلوح ببنادق الليزر ..

لا وقت عندي لهذا الهراء ..

في المساء دخلت زوجتي المكتب لتجدني أحدق في الشاشة الخالية لجهاز الكمبيوتر .. نظرت لي في عدم فهم فقلت لها بصوت واهن:

ـ «أبحث عن إلهام لروايتي الجديدة .. أبحث حولي وأنظر جيدًا، لكني للأسف لا أجد أي إلهام في هذه الحياة الرتيبة التي لا يحدث فيها شيء .. لو حدث أمامي شيء مثير .. شيء مثير واحد لتدفق إلهامي كالشلال ..»

وأغلقت الجهاز وقلت لها وأنا أتثاءب ناهضًا نحو غرفة النوم:

ـ «ربما غدًا أجد ما يلهمني فأكتب تلك الرواية العظمى.. يجب أن تعرفي أنك متزوجة من فنان يا عزيزتي .. فنان حقيقي!»

لا ذنب لي

في طفولتي كنت شديد البدانة وأبدو أكبر من سني .. أذكر أنني كنت أركب الحافلة مع أمي وجاء المحصل ليأخذ ثمن التذاكر. هنا طلبت منه أمي تذكرة ونصفًا لأنني ما زلت طفلاً...

راح المحصل ينظر لي من أعلى لأسفل كأنه يفحص ثورًا ينوي شراءه، ثم قال ضاحكًا بطريقة من عرف هذا الموقف مرارًا:

- «سيدتي .. لا يمكن أن يكون هذا طفلاً .. إنه يحتاج إلى تذكرة كاملة»

بينما أصرت أمي في عناد:

- «بل هو طفل .. لابد أنك أصبت بالعمى فجأة»

ارتفع صوت الرجل:

- «سيدتي .. هذا ثور كامل بلا زيادة ولا نقصان .. إن وزنه هو وزني، وطوله قريب من طولي وأنت تريدين إقناعي بأنه كتكوت صغير!»

ثم صاح يطلب شهادة الركاب:

- «يا خلق الله يا مسلمون.. هل هذا طفل؟.. فليقل كل منكم ما يمليه ضميره ولا يجامل السيدة ..»

هكذا راح جميع الركاب يفحصونني بعيون ناقدة أو كارهة أو ساخرة .. ومنهم من راح يهز رأسه غير مصدق.. وتعالت الصيحات:

- «كلنا أطفال!»

- «هذا طفل؟.. هع هع!»

- «فلتعتبره طفلاً يا أخي .. نصف التذكرة هذا لن يفلس الحكومة ..»

وأنا لا أصدق هذا الكابوس الذي أعيش فيه .. يشبه الأمر أن تقف عاريًا في شارع مزدحم.. تمنيت على أمي أن تدفع ثمن التذكرتين وتنهي هذا السيرك. سأدفع لك ثمن كل التذاكر الكاملة التي دفعتها لي طيلة حياتي بمجرد أن أحصل على وظيفة ثابتة .

لكن أمي كانت مصرة على ألا تُخدع .. وقد دفعني تمسكها بالمبدأ هذا إلى أن أتلقى سيلاً من الشتائم على رأسي .. منذ ذلك الحين تعلمت أنك يمكن أن تظل صامتًا وتقف في الظل محاولاً أن تحتل اقل حيز من الفراغ،

وبرغـم هـذا ينهـال عليـك السـباب ..

في إحــدى النـدوات الـتي تناقـش أعمـال رسـام كاريكاتـور شـاب واعــد، اســتضافوا فنــان كاريكاتــور عجــوزًا ضيــق الخلـق. كان أول ســؤال وجهــه الحضــور للرســام العجــوز هــو:

- «في رأيـك كـم يمثـل هــذا الفنــان الشــاب بالنســبة للكاريكاتــور العــربي؟»

عرفــت عــلى الفــور مــا ســيحدث .. لقــد انفجــر الرجــل صارخًــا:

- «صفـر في المائـة!.. إنـه لا يمثـل سـوى صفـر في المائـة!.. إنـه لا شيء عـلى الإطـلاق»

والفنــان الشــاب الواعــد يجلــس محرجًــا محمــر الأذنــين، فهـو لـم يفعـل أي شيء ولـم يـدع شـيئًا، وفجأة وجد نفسـه يهُـان بـلا داع .. إن هـذا السـؤال السـخيف مـن الأسـئلة الـتي تسـتجدي السـباب اسـتجداء ..

أذكـر أنـي وجـدت ذات مـرة في أحـد مواقـع الإنترنـت مـن يمتدحــني بحــرارة، إلى درجـة أنـه يعتـبرني مـن أهـم الكتـاب العــرب، وأنــه مــن المفــترض أن يعرفــني الغــرب ليلقــي الحمقــى في القمامــة بمــا لديهــم مــن كتــب هيمنجــواي

وكافكا وتولستوي وإميل زولا وجيمس جويس وهوميروس وسومرست موم وفلوبير، ليضعوا كتبي مكانها ..

طبعًا لم أشعر بأي سرور، أولاً لأن هذا الكلام يبعد عن الحقيقة بعدنا عن كوكبة القنطورس في الفضاء الخارجي، ولأنني أعرف ما سيحدث بالضبط ..

هكذا جلست في الحافلة .. أعني جلست في مكتبي صامتًا وأنا أقرأ الشتائم التي تنهال على رأسي على شبكة الإنترنت.. من هذا الكاتب الضحل؟.. من هذا التافه؟.. هذا الذي لا يعرف كيف يكتب جملة واحدة متماسكة.. إنه الأغبى والأكثر إملالاً والأكثر ضحالة وادعاء .. تقريبًا دخل الموقع ألف شخص متحمس ليكتب عبارات السباب في شخصي الكريم ثم يرحل، لدرجة أنني توقعت أن يقول أحدهم: هذا ثور كامل بلا زيادة ولا نقصان ..

حكيت هذه القصة لصديق لي، فالتمعت عيناه وراح يهتز بضحك مكتوم، ثم اعترف لي بأنه هو من كتب هذا المديح لي باسم مستعار ..

ـ «لقد أردت أن أجاملك لكن النتيجة كانت عكسية تمامًا..!»

هذا نموذج للشخص الذي يجلب على رأسك المشاكل

بلا ذنب لك.

هكذا عرفت الطريقة المثلى كي تنهال الشتائم على خصومك .. امتدحهم بحرارة .. امتدحهم بعنف .. امتدحهم مع الكثير من المبالغة .. ثم استرخ في مقعدك وراقب كيف يتم تمزيقهم إربًا ..

صدقوني .. قبل أن توجهوا لي الشتائم تأكدوا أولاً من أنه لا ذنب لي في هذا كله .. لقد ظللت صامتًا وابتعدت عن الحرب، لكن الحرب جاءت لي حيث أنا!

المزيد من القوانين الخفية

مع مزيد من تلك القوانين الفيزيائية الخفية التي تحرك حياتنا. في الغرب يطلقون عليها اسم (قوانين مورفي)، ومصدرها قانون أطلقه مهندس هناك يقضي بأنه: «كل ما يمكن أن يفشل سوف يفشل!». هناك تعديل مهم يقضي بأن «مورفي كان متفائلاً!» بمعنى أن الحقيقة أسوأ من هذا. وهناك قانون مورفي الخاص بالنشر الذي يقول: «لو كتبت تنتقد الدقة اللغوية أو التحرير لكتاب ما، فإن ما كتبته لابد أن يحوي خطأ لغويًا شنيعًا!». منذ ذلك الوقت توالت القوانين:

- لو سار كل شيء على ما يرام، فأنت لم تلحظ الخطأ فقط .

- الكون ليس غير مبال بالعلماء فقط .. إنه ضدهم على طول الخط ..

- أي سلك تقطعه حسب طول معين هو أقصر من اللازم.

- احتمال حدوث خطأ يتناسب طرديًا مع الضرر الذي سيسببه هذا الخطأ.

- عندما يفشل كل شيء آخر اقرأ التعليمات.

- الرجل الذي يبتسم عند الفشل، يعرف رجلاً آخر يلقي باللوم عليه.

- لابد أن تسقط الشطيرة على الجانب الذي دهنته بالزبد. وهذا يتناسب طرديًا مع ثمن السجادة.

- الأمر يستغرق وقتًا أكثر مما توقعت له، ومهما فعلت.

- من سوء الحظ أن تكون متشائمًا.

- قانون لورا: الطفل لا يقيء وهو في الحمام أبدًا.

- قانون النوافذ: القذارة على الجانب الآخر من الزجاج دائمًا!

- قانون الذاكرة: فرصة نسيان شيء مهم تتناسب مع.. مع .. مع ....

- لو لم يسر الأمر حسب الخطة، فلا توجد خطة أصلاً.

- ابتسم .. فالغد أسوأ.

- الأشياء تتلف حسب قيمتها.

- لا يمكـن أن تحمـي عملـك مـن الحمقـى، لأن الحمقـى عباقـرة.

- كل حل يخلق مشاكل جديدة!

- الـشيء الـذي يقـع يقـع في المـكان الـذي يسـبب فيـه أكـبر ضرر ممكن.

- بعـد مـا تبتـاع بديـلاً للـشيء الـذي بحثـت عنـه في كل مـكان ولـم تجـده، يظهـر الـشيء الأصـلي.

- بمجـرد شراء تلـك السـلعة النـادرة، سـوف تجدهـا معروضـة في كل مـكان وأرخـص.

- صمـم شـيئًا يسـتطيع حـتى المعتوهـين اسـتعماله، ولسـوف لا يسـتعمله سـوى المعتوهـين.

- كل شيء ممتـع في الحيـاة غـير قانـوني أو غـير أخـلاقي أو يسـبب السـمنة.

- كل شيء يقع في الحمام لابد أن يسقط في المرحاض.

- أي شيء تضعه في مكان أمين، لن تجده أبدًا ثانية.

- الأفكار العظيمة لا نتذكرها أبدًا، والأفكار الغبية لا ننساها أبدًا.

- الغسالة لا تبتلع إلا فردة واحدة من كل زوج من الجوارب.

- الضوء في نهاية النفق قطار قادم!

- صندوق الخطابات دائمًا في الناحية الأخرى من الشارع.

- الفوضى تربح دائمًا لأنها أفضل تنظيمًا!

- لو لم تنجح، تخلص من أية أدلة على أنك حاولت.

- لكل قاعدة شواذ ما عدا هذه القاعدة.

- الرجل الذي يسبقك مباشرة في طابور المصرف، يقوم بأعقد إجراءات ممكنة.

- معرفتك بقوانين مورفي لن يساعدك في شيء!

سوف أجده

لا أتحمل هؤلاء الأوغاد معدومي الضمير الذين لا هم لهم سوى مضايقة الفتيات البريئات والتحرش بهن. دعك من أنني عاشق .. أعني أنني كنت عاشقًا في ذلك الوقت من الثمانينات .. كنت أرفع سماعة الهاتف وأنتظر سماع صوتها الرقيق تسأل عن المتكلم .. أنتشي وأغمض عيني متخيلاً أن جوقة من الملائكة تعزف لي وحدي. وفي الحادية عشرة مساء أخرج في الظلام وأمر ببيتها .. أنظر لنافذتها المغلقة والضوء من خصاصها وأتخيلها هناك .. أغني: «أنا في الشارع الذي تعيشين فيه».

كانت زميلتي في الكلية، وكنت أداري حبها عن الآخرين كسرّ عزيز صغير، لهذا وجدت كراس محاضراتها ذات مرة.. أخذته عالمًا أنني سأعيده لها يومًا ولسوف تدرك كم أنا أمين شهم ..

أخيرًا تكلمت معها وصرنا صديقين .. لكني لم أتماد طبعًا ولم أعلن عن عواطفي حتى تظل تلقائية معي. لاحظت أنها تحمل خوفًا غير طبيعي من الآخرين .. لا

تثق بأحد على الإطلاق .. لا أعرف السبب، وقد حاولت كثيرًا أن أفهم سبب خوفها، فقالت :

- «لو كان هناك من يلاحقك ويعرف عنوان بيتك لأصابك الذعر مثلي»

- «من هذا الشيطان؟»

قالت إنها لا تعرف من هو .. الجيران حكوا لها عن شخص مخيف المنظر يمشي في شارعها ليلاً - في الحادية عشرة تقريبًا - وهو يصدر أصواتًا مرعبة، وينظر لنافذتها وقد بدا عليه التوحش ..

- «كيف يبدو هذا الوغد؟»

يقولون إنه يضع نظارة، بدين كالخنزير ..رثّ الثياب .. باختصار هو شخص لا تتمنى أن تقابله في زقاق مظلم.. لا أعرف من هو لكني سأجده ويومها سوف أحوله إلى لحم مفروم...

قالت لي إن هناك من سرق كراس محاضراتها .. هي نسيته في قاعة المحاضرات فلما عادت لم تجد له أثرًا .. المشكلة أن هذا الكراس يحوي معلومات عنها .. معلومات مهمة ... إذن هناك من يسرق كراسات محاضراتها سواي؟.. هذا مخيف ..

أما الكارثة الكبرى فهي تلك المكالمات التي لا تسمع فيها صوتًا .. ترفع السماعة فيجيء صوت لهاث مخيف من الجانب الآخر .. لابد أنه مريض نفسي ..

استبد بي الجنون .. هذا المخبول يجب أن يُعاقب ..

هكذا رحت أقف في شارعها وقتًا أطول من اللازم ، أنتظر قدوم هذا الوغد البدين وأنا أحمل عصا ثقيلة أحطم بها وجهه .. لم يظهر لحسن حظه، لكن أثار ذهولي أنها تحكي عن أن زياراته لم تتوقف ... تقول إنه صار مسلحًا، وإن أباها يخشى النزول له لكنه قرر أن يطلب الشرطة ..

كانت تنهار بلا توقف .. صارت حياتها جحيمًا، وصار صوت حفيف أية ورقة شجر جوارها كفيلاً بجعلها تصرخ .. كانت تزوي رعبًا وأنا أزوي حسرة ..

في اليوم التالي رأيت سيارة الشرطة تقف في الظلام قرب بيتها فسرني هذا، وابتعدت تاركًا للعدالة أن تأخذ مجراها .. الشرطة أقدر مني على التعامل مع الأشقياء ..

قالت لي حبيبتي إن من يلاحقها كف عن الاتصال الليلي والمكالمات الصامتة .. سرني هذا كثيرًا .. ذكرني كلامها عن الهاتف بأن علي المرور على شركة الاتصال لأبلغ عن

عطل .. الهاتف معطل منذ ثلاثة أسابيع ولا أحد يهتم بسماع شكواي ..

جاء اليوم الذي عرفت فيه إنني أحبها، وعرفت أنها تميل لي ..

قالت لي وهي ترتجف:

- «برغم تلك الفترة المرعبة التي مررت بها فإنني سعيدة لأنك كنت هناك دائمًا لتحميني»

قلت لها وأنا أعني ما أقول:

- «لا أعرف اسم ذلك الذي هددك ولا شكله، لكني أعرف يقينًا أنه سعيد الحظ لأنني لم ألقه .. كان سيبيت في المشرحة بينما أشنق أنا ..»

اليوم هي قد تزوجت وصارت بدينة كالخرتيت، ولديها أربعة أطفال تصفعهم طيلة الوقت، وأنا تزوجت ، لكن كراس محاضراتها ما زال معي .. عندما امسكه في يدي أتذكر آسفًا أن هناك مخبولاً ما يحتفظ بكراس آخر من كراسات محاضراتها، عندها يغلي دمي .. وأتساءل: من هو؟... أين هو؟

أريد أن أعرف!

في طفولتي كان يثير جنوني أولئك الباعة الذين ينادون على بضاعتهم بطريقة حرفية منغمة، فيصير من المستحيل أن تعي حرفًا مما يقولون. مثلاً كان هناك ذلك الرجل النحيل الأسمر الذي يقف جوار مدرستي وينادي بأعلى عقيرته: «شيها دوج دوج». أما بضاعته فشيء مغطى لا يمكن أن تعرف كنهه .. ربما هو ضفادع محمرة أو ثعابين مقلية أو ألغام دبابات من الحرب العالمية الثانية. ظل الفضول يغلبني خاصة أنني لا أجرؤ على الاقتراب لسؤاله عما يبيع، ولم أر في حياتي من يشتري منه قط، فيبدو أن كل الأطفال لا يعرفون ما يبيع ..

في النهاية جرؤ أحدنا على أن يقترب ويكشف الغطاء .. عندها اكتشف أنه يبيع نوعًا من الحلوى .. وعبارة (شيها دوج دوج) ليست سوى (فيها بندق) منغمة وممطوطة وملوية بحيث صار من المستحيل أن تعرف ما تقول ..

بائع آخر كان يقف تحت شرفتنا كل عصر ويصرخ (هيااااااا أوووووووه!) كأنه طرزان ينادي حبيبته شيتا

في الغابـة. وقـد سـألت كل أفـراد أسرتي عمـا يبيعـه فلـم يعـرف أحـد، واقـترح أبي أن الرجـل يبيـع أكيـاس قمامـة، بينمـا اقترحـت أمـي انـه يبيـع مشـانق .. في ذات يـوم سـعيد دنـت منـه طفلـة فكشـف لهـا الغطـاء عمـا يبيعـه .. كان يبيـع الزيـادي (اليوجـورت) لكـن لا تسـأل مـن فضلـك عـن علاقـة الزيـادي بالــ (هيـاااااا أووووووه!).. يبـدو أن الصيحة أهم عنـده مـن البيـع ويعتبرهـا إهانـة أن يصيـح بصـوت واضـح النـبرات: (زبـادي)!

كان هـذا درسي الأول عـن الدعايـة الـتي تجعلـك لا تشـتري شـيئًا .. ثـم بـدأت أكتشـف هـذا بشـكل أوضـح مـع إعلانـات التلفزيـون. هنـاك إعلانـات تحـرص عـلى أن تبـدو شـبابية مليئـة بالحيويـة، فيتكلـم الشـاب بسرعـة وبكلمـات كالطلقات حـتى لا تفهـم حرفًـا ممـا يتكلـم عنـه. ربمـا كان هـذا جـزءًا مـن سـيكولوجية الإعـلان لأن المـرء يجـن فضـولاً ليعـرف مـا يعلـن عنـه هـذا الشـاب .. هـل هـو دواء لجعـل الـكلام غـير مفهـوم؟.. أم هـو نـوع مـن الدهـان يجعـل اللسـان زلقًـا؟..

اشـتهرت شركـة (بنيتـون) للملابـس الجاهـزة بهـذه الإعلانـات العجيبـة الـتي أثـارت جـدلاً، فتـارة تقـدم لـك بألـوان ممتـازة رجـلاً يلتهـم سـمك القـرش جسـده الممـزق، وتـارة تقـدم محتـضرًا يحيـط بـه أفـراد الأسرة الباكـون، وتـارة صـورة رضيـع ملـوث بالـدم .. مـع عبـارة صغـيرة تقـول:

«الألـوان المتحـدة مـن بنيتـون». لابـد أن الموضـوع خضـع لدراسـة نفسـية مدققـة لكـن بصراحـة لا أفهـم .. معلومـاتي أن الإعـلان يجـب أن يكـون جميـلاً ولا يكـون ضربـة بالمطرقة عـلى الـرأس لتتذكـر للأبـد .. عـلى كل حـال أنـت تعـرف أنهـم يعلنـون عـن ثيـاب ..

يبلـغ فـن الإعـلان الـذي يجعلـك لا تبتـاع السـلعة ذروتـه مـع اللافتـات الإعلانيـة عـلى الطريـق. عـلى الطريـق السريـع حيـث سرعـة سـيارتك لا تقـل عـن مئـة كيلومـتر تـرى مـن بعيـد تلـك المـرأة الـتي تضحـك في رضـا .. لمـاذا؟... تقـترب أكـثر فـترى اسـم السـلعة الـتي أسـعدتها لهـذا الحـد لكنهـا مكتوبـة بخـط صغـير جـدًا .. ولا وقـت للتدقيـق لأن السـيارة الـتي خلفـك تسـير بنفـس سرعتـك .. لـو أبطـأت أو انحرفـت لليمـين فجـأة فهـي النهايـة عـلى الأرجـح ... حـتى لـو نجـوت لـكان مـن الصعـب أن تفـسر أنـك أحدثـت هـذه الكارثـة لتعـرف مـا السـلعة الـتي أعلنـوا عنهـا ..

أمـا في وسـط المدينـة والزحـام فالأمـر يختلـف .. أنـت محشـور وسـط مئـات السـيارات وهنـاك لافتـة مبهمـة بعيدة تعـدك بالسـعادة الأبديـة .. لا يمكـن أن ترفـع عينيـك عـن الطريـق لتقـرأ .. فـإذا كنـت محظوظًـا واسـتطعت أن تعـرف مـا يعلنـون عنـه لوجـدت رقـم هاتـف طويـلاً .. لا يمكـن أن تتذكـره أو تدونـه ..

لـو ذهبـت لـذات المـكان راجـلاً لاكتشـفت أن عليـك أن تقـف وسـط السـيارات لتقـرأ اللافتـة، ومعـنى هـذا أنهـا النهايـة .. بينمـا عندمـا تقـف تحتهـا فهـي غـير مقـروءة عـلى الإطـلاق .. حـتى بـدأت أفكـر جديًـا في أن آخـذ كامـيرا رقميـة لألتقـط صـورة سريعـة للافتـة أحللهـا فيمـا بعـد .. هنـاك حـل أسـهل هـو أن اطلـب ممـن يركـب جـواري سـواء كان صديقـي أو زوجـتي أن يـدون الرقـم عـلى ورقـة بسرعـة لكنـك تكتشـف أنـه أو أنهـا مصابـة ببـطء فهـم شـديد:

ـ «أية لافتة؟»

ـ «هذه اللافتة؟»

ـ «هل تقصد تلك التي على اليسار؟»

ـ «بل اليمين .. عليها رقم هاتف ..»

ـ «هناك لافتتان على اليمين ..»

ـ «اللافتـة الـتي تقـول : سـوف نخلصك مـن رائحـة القدمين للأبـد .. فقـط اتصـل برقـم .. رقـم ماذا؟»

هنا ينظر لي صاحبي أو تنظر لي زوجتي وتقول في حياء:

ـ «ألم يخبرك أحد أنني مصابة بقصر نظر؟»

هكـذا تكـون الفرصـة قـد ضاعـت .. وبعـد أسـبوع تختفـي اللافتـة لتـأتي واحـدة أخـرى أكـثر غموضًـا ..

نعـم .. الدعايـة فـن معقـد ولا أفهـم الكثـير فيـه، لكنـني فعـلاً أريـد أن أعـرف هـذا الـذي يعلنـون عنـه .. هـذا مـن أبسـط حقـوقي كإنسـان. ولا شـك أنـني أضعـت الكثـير مـن الفـرص النـادرة بسـبب تحذلـق مصممـي الدعايـة هـذا .

استرخ من فضلك

فشلت تمامًا في طفولتي ومراهقتي أن أتعلم قيادة الدراجات. أنت تجلس على المقعد ويداك على المقود وهناك من يمسك بك من الخلف .. يدفعك بضعة أمتار ثم يقول لك:

ـ «هيا!»

ويتركك .. تندفع للحظة حاسبًا أنك فهمت اللعبة وصرت ملكًا أو نسرًا محلقًا. في اللحظة التالية أنت على الأرض تنزف من عدة مواضع وكل عظامك مهشمة، بينما من كان يعلمك يقول لك:

ـ «أحمق!.. كان يجب أن تسترخي!.. لا تشد نفسك .. تصرف كأنك كنت تفعل هذا طيلة حياتك!»

الاسترخاء!.. هذا الفن الذي لم أستطع قط فهم مفاتيحه ولا ممارسته بنجاح، لكن من الواضح أنك لا يمكن أن تفعل أي شيء في هذا العالم من دونه. أنا من الطراز العصبي الذي لا ينام قبل أن ينهض عشرين مرة

ويشد سروال منامته على بطنه عشر مرات، ولو وجد تجعيدة واحدة في الملاءة فهي النهاية .. لا أجلس للقراءة إلا وأسعل عشرين مرة وأنهض ألف مرة .. شخص مثلي لا يمكن أن يسترخي ..

الآن يأتي دور تعلم السباحة .. أنزل في الماء وأستعد .. هنا يقول لي مدرب السباحة:

ـ «استرخ!»

أنظر له في شك .. استرخاء هنا أيضًا؟.. مطلوب مني أن أسترخي إلى حد التحول إلى قطعة خشب طافية أو جثة غارقة .. أجرب هذا فأكتشف أنني انزلق لأسفل بلا توقف .. فجأة صار رأسي يلامس القاع وقدماي في الهواء... هكذا أجرب مئات المرات حتى نجحت في أن أطفو كالطحالب، وقد اعتبر المدرب هذا نصرًا مؤزرًا ...

ـ «مشكلتك هي أنك لا تسترخي بما يكفي .. لو فعلت هذا لحملك الماء حملاً..»

فلأجرب رياضة مثل التنس .. قررت أن ألقي بالمضرب وأرحل لو طلب مني المدرب أن أسترخي .. لكنه لم يقلها لحسن الحظ .. راح يشرح لي طريقة تلقي الضربات وصدها، ثم قال ضاحكًا:

ـ «نلعب الآن مباراة قصيرة معًا ..»

حمدت الله على أن هذه أول رياضة تحتاج إلى شخص متوتر عصبي يثب مترين في الهواء لو عوى كلب جواره، وضحكت ورفعت المضرب .. هنا قال المدرب بنفس الضحكة المعسولة:

ـ «والنصيحة الأخيرة لك هي أن .. تسترخي!»

هكذا ألقيت المضرب على الأرض وانصرفت ..

ما دامت كل الرياضات ترغمك على الاسترخاء فلابد أن الرياضات هي هواية الكسالى. لابد أن ما يناسبني هو الاندماج في العمل أكثر ..

لما تخرجت صرت طبيبًا .. جربت أن أمارس الجراحة، ووقفت فخورًا لأول مرة في حياتي أمام جرح مفتوح في بطن مريض بالتهاب الزائدة الدودية .. مددت إصبعي لأستخرج الزائدة، فقال الطبيب المقيم المسئول عن تدريبي:

ـ «أهم شيء يجب أن تتقنه في الجراحة هو الاسترخاء!.. تنفس من فمك بهدوء واخرج كل هذا التوتر! .. سوف تجد أن الجرح يغلق نفسه بنفسه!»

كنت أحسب الجراحة هي فن المتوترين، فاتضح أن الاسترخاء اللعين يطاردني هناك .. توتر كما تريد قبل الجراحة، لكن عندما تقف هناك على يمين المريض ويداك تمسكان بالمبضع فأنت فنان هادئ الجنان ...

قررت أن أتعلم مناظير الجهاز الهضمي الضوئية، فكان أول درس تلقيته هو أن الاسترخاء مهم جدًا .. سوف يجد المنظار طريقه بنفسه .. التوتر يجعل الأمر عسيرًا ويدمي معدة المريض ..

طبعًا لابد من الاسترخاء في قيادة السيارات .. قال لي أحد مدربي القيادة إن علي أن أريح ساعدي على النافذة اليسرى وأمسك المقود بيد واحدة في استرخاء. هذا بالطبع يتناقض مع كل ما نعرفه عن وضع الإمساك بعجلة القيادة، دعك من أنه خطأ .. المرة الأولى التي استرخيت فيها بهذا الشكل هشمت مؤخرة السيارة التي كانت أمامي موشكة على الانحراف لليسار .. للأسف لم يكن سائقها مسترخيًا مثلي ..

هكذا قالوا لي إن علي أن أتعلم الاسترخاء قليلاً قبل أن ينفجر رأسي .. نصحني العالمون ببواطن الأمور بأن أدرس فلسفة (زن) اليابانية، بينما أهداني أحدهم كتابًا عن اليوجا حجمه يقرب من حجم الخروف الصغير.

شـعرت بتوتـر عندمـا فكـرت في أن عـلي قـراءة هـذا كلـه .. لكـن لابـد منـه ..

يبـدو لي أن الحيـاة أعـدت خصيصًـا لمـن يسـترخون .. لا مجـال لأمثـالي. فتحـت الكتـاب وبـدأت أقـرأ الفصـل الأول:

ـ «قبـل أن تـدرس اليوجـا يجـب أن تسـترخي .. تسـترخي إلى أقـصى حـد!»

هــذا يعــني أن عــلي أن أســترخي كي أتعلــم طريقــة الاسـترخاء..هكذا تخلصـت مـن الكتـاب بكثـير مـن العصبية، وجلسـت لأكتـب هـذا المقـال . عـلى الأقـل لـم تطالبـني إدارة هـذه المجلـة الغـراء بـأن استرخي قبـل أن أكتـب مقـالي وأدعــو الله ألا يفعلــوا.

عندما يحب مورفي

بما أن قوانين مورفي ممتعة دائما، فإنني اخترت أن أترجم لك بعضها لتناسب يوم (فالنتين) .. هذا اليوم العجيب الذي أقحم نفسه إقحامًا في جدول أعيادنا. وصار من حق خطيبتك أو زوجتك أن تنظر لك في كراهية ومقت لو أنك لم تجلب لها قلبًا أحمر من القطيفة أو (دبدوب) من الفراء .. ولماذا؟.. لأن الغربيين يفعلون هذا ولأنك لا تفهم نفسية الأنثى .. دعونا نسمع ما تقوله قوانين مورفي عن الحب:

- كل الفتيات المناسبات قد أخذن بالفعل، والفتاة المتروكة متروكة لسبب مهم.

- كلما ازداد لطف الشخص كان أبعد عن منالك.

- المال لا يشتري الحب، لكنه يضعك في موقع ممتاز لإجراء الصفقات.

- لو كان الشخص الآخر أجمل من أن يكون حقيقيًا فهو بالفعل كذلك.

- حينما تفهمك زوجتك فهي على الأرجح تعلمت ألا تصغي لك.

- لا تقم علاقة مع من هو أكثر جنونًا منك.

- الحب يضطهد الخجولين وقبيحي الوجه.

- هناك أشياء أفضل من الحب وأشياء أسوأ من الحب.. لكن لا شيء كالحب بالضبط.

- يجب أن تحب جيرانك .. لكن لا تدع أحدًا يقبض عليك!

- لا تتجادل مع المرأة وهي مرهقة .. ولا تتجادل معها وهي مسترخية ..

- يمكن للرجل أن يكون سعيدًا مع أية امرأة ما دام لا يحبها!

- الحب وهم يقنعك أن هناك فارقًا بين امرأة وأخرى.

- لا تنسى المرأة الرجال الذين كان بوسعها الفوز بهم، بينما لا ينسى الرجل النساء اللاتي استحال عليه الفوز بهن.

- النجاح في الزواج لا يحتاج إلى أن تتزوج الشخص الصحيح .. النجاح يتطلب أن تكون أنت الشخص

الصحيح!

- كل النساء هستيريات .. كل الرجال بلهاء.

- لو لم تجدي الأفضل فلتختاري الأنسب.

- يتناسب قبح الفتاة مع قربها منك.

- لا تتعب نفسك في المفاضلة بين فتاتين .. من المحتم أن تختار أسوأهما.

- لو قالت لك: فلنبق أصدقاء، فهي لن تتصل بك ثانية، ولو اتصلت فلن ترد على مكالمتك.

- لو قالت لك: يجب أن نتكلم، فقد انتهت قصة حبكما.

- الحب أعمى .. لكن جيرانك ليسوا كذلك.

- عندما تصارحها بأنك لن تقدر على الحياة من دونها، فلسوف تتركك في اليوم التالي.

- عندما تقول لك: لا تشتر لي شيئًا باهظ الثمن، وعندما تصدقها فعليك أن تستعد للطلاق.

- عندما يقلن لك إنك ألطف شخص عرفنه، فهذه هي قبلة الوداع.

- عندما تتزوج فتاة حسناء فإنها ستتحول لأمها، وعندما تتزوج فتاة بسيطة فإنها ستتحول لأبيها .

- النساء كالقوارب .. يحتجن لصيانة واهتمام ويكلفن الكثير من المال. الرجال كحافلات النقل العام .. لو أضعت واحدًا فالآخر قادم حالاً.

- محاميها دائمًا أبرع من محاميك.

- الزواج هو نهاية حياتك العاطفية الناجحة.

- الأشخاص المهذبون الهادئون هم الذين يتضح أن لديهم دستة من الجثث المقتولة في القبو.

- الكل يؤمن بالحب لكن يتساءل إن كان له وجود أصلاً.

- عندما ترفض الفتاة أن تتزوجك لأنك إنسان طيب، فهذا يشبه ألا تحصل على وظيفة لأن معك شهادات كثيرة.

عذوبة الماضي

مشكلتي هي أنني أحتفظ بذاكرة الأفيال .. لا أنسى شيئًا على الإطلاق خاصة إذا ما كان بعيدًا. لهذا أكون شاهدًا دائمًا على ما يطلق عليه علماء النفس (الذاكرة المزيفة). يحكي لي هذا الرجل عن التصفيق الذي استمر ساعتين بعد خطبته عام ١٩٧٤ فأتذكر جيدًا أن أحدًا لم يصفق.. هو غير كذاب .. فقط زيفت ذاكرته الواقعة. يحكي لي هذا عن المبلغ الذي منحه للفقراء عام ١٩٧٧ فأتذكر جيدًا أنه لم يعط مليمًا لأحد. ولنفس السبب أتذكر الماضي فأجد أنه كان كريهًا موجعًا في أحيان كثيرة ..

صديقي هذا مثلاً يحكي لي عن روعة الماضي طيلة الوقت ..

يشرب كوبًا من الشاي فيتنهد ويقول: ليس كالشاي الذي كنا نشربه في السبعينات .. كان له مذاق ورائحة تشمها على بعد أميال ..

يسمع أغنية لمطرب شعبي قديم هو (أحمد عدوية) فيتنهد ويقول: تصور أننا كنا نتهكم على هذا الصوت

في الماضي .. كم هو رائع!.. من المستحيل أن تسمع صوتًا كهذا ..

ثم يتكلم عن حبيبته وكيف كانت رقيقة عذبة في الماضي ..

الخلاصة التي تصل إليها من كلامه هي أن المجتمع كان جنة ترفرف فيها الملائكة، وتغرد فيها بلابل لها صوت (عدوية)، وكانت الفتيات أجمل والعواطف أكثر حرارة وللشاي رائحة مُسكرة .. يبدو لي أنه شرب كوبين من الشاي في الماضي، فسكر ومشى في الشوارع مترنحًا حتى كاد رجال الشرطة يقبضون عليه ..

ما أذكره مثلاً أنه كان في شبابه يعاني عقدًا نفسية مختلفة، وكان في خلاف دائم مع أهله، وكان مفلسًا فقيرًا.. وقد تلقى جلسات علاج نفسي، وحاول الانتحار بابتلاع خمسة أقراص من الأسبيرين متظاهرًا - ذلك الأحمق - بأنه لا يعرف أنها جرعة قليلة جدًا .. دعك بالطبع من أنه لم يكن يحب الشاي أصلاً..

أما عن ذوقه السماعي، فقد كان يشكو بلا انقطاع من فساد الذوق العام وأن هذين المدعوين عبد الحليم حافظ وفريد الأطرش يلوثان ذوق الشباب بلا توقف ..

لكنـه مـصر عـلى أنـي لا أفقـه شـيئًا .. المـاضي كان رائعًـا إلى حـد لا يوصـف .. كانـت السـعادة تغمرنـا ..

يبـدو لي أن هـذا الـداء يتجـاوز صديقـي إلى المجتمـع كلـه، وهـذه مشـكلة حقيقيـة لأننـا نـترك أشـياء جميلـة فعـلاً في حاضرنـا تفلـت، ونبـكي بـلا توقـف عـلى مـاض لـن يعـود.. ثـم نفطـن إلى أن حاضرنـا صـار ماضيًـا فنعـود للـصراخ والبـكاء .. إن هوايـة البـكاء عـلى الأطـلال ليسـت مقصـورة عـلى أجدادنـا فقـط .. كلنـا نبـكي عـلى الأطـلال، لكننـا لا ننعـم لحظـة واحـدة بمـا نعيـش فيـه مـن بيـوت .. لابـد أن تتهـدم أولاً لنـدرك أنهـا رائعـة ..

كنـت أتكلـم وأنـا أشـغل في كاسـيت السـيارة أغنيـة لشـعبان عبـد الرحيـم .. وقلـت لصاحـبي:

ـ «ليـس هـذا هـو المثـل الأفضـل لمـا أقـول، لكـن لا تنكـر أن صوتـه جميـل .. لـو وجـد مـن يوظـف هـذا الصـوت بشـكل صحيـح لصـار ظاهـرة في الغنـاء الشـعبي ..»

لم يقتنع..

جلسنا في كافتيريا فراح يتشمم الهواء، وقال في ضيق:

ـ «حـتى الهـواء لـم يعـد كهـواء المـاضي .. الهـواء كان أفضـل منـذ عشريـن عامًـا ..»

- «ربما لأن أنفك كان أصغر عشرين عامًا ..»

انتهـت الأمسـية وعدنـا لبيوتنـا .. عنـد منتصـف الليـل اتصـل بي يسـألني عـن اسـم أغنيـة شـعبان عبـد الرحيـم الـتي كنـت أشـغلها في السـيارة، ثـم قـال:

- «هـذه الليلـة كانـت جميلـة فعـلا .. تذكـرني بليالي شـبابي.. تصبـح عـلى خير»

عندمـا وضعـت سـماعة الهاتـف فكـرت لحظـة في معـنى هـذا اللغـز.. ثـم فطنـت إلى أن أغنيـة شـعبان عبـد الرحيـم صـارت ماضيًـا!.. لقـد سـمعها منـذ سـاعتين!... كذلـك تلـك الجلسـة صـارت مـن جلسـات المـاضي!

المـاضي كان جميـلاً لكـني مـصر عـلى أنـه أسـوأ مـن الحاضر بكثـير .. مـاذا عـن الحـرب؟... مـاذا عـن طوابـير الخـبز ودجـاج الجمعيـة؟.. مـاذا عـن صعوبـة الاتصـالات؟.. مـاذا عـن وجبـة الطعـام الـتي يجـب أن تأكلهـا في يـوم واحـد لأنـه لا توجـد ثلاجـة؟.. مـاذا عـن الـزواج مـن امـرأة لـم ترهـا في حياتـك لكنـك رأيـت أباهـا؟.. مـاذا عـن وجـود قنـاة واحـدة أبيـض وأسـود في التلفزيـون؟... مـاذا عـن العمـل مـن دون كمبيوتـر؟.. هـل تتكلـم عـن القيـم؟.. مـاذا عـن أغـاني سـيد درويـش مثـل (شـفتي بتاكلـني أنـا في عرضـك)؟.. هـل تجدهـا راقيـة تمـت للزمـن الجميـل حقًـا؟.. والأمـان؟.. مـاذا عـن

(خُـط الصعيـد) الـذي قتـل سـتين رجـلاً قبـل ان تقتلـه الشرطـة؟

فقـط للمـاضي مـيزة واحـدة هـي أنـه صـار ماضيًـا لهـذا نشـعر بالحنـين لـه، بينمـا الحـاضر موجـود في كل مـكان وفي كل لحظـة لهـذا نزهـده ..

لقـد صـارت الفقـرة الأولى مـن هـذا المقـال ماضيًـا جميـلاً، لهـذا أشـعر بالحنـين لذلـك الزمـن الـذي كنـت اكتـب فيـه فقـرات جيـدة كهـذه!

عن مهنةالمغلط اللغوي

الأخطـاء اللغويـة في المطبوعـات كثـيرة، وقـد تكـون ناجمـة عـن أخطـاء الكاتـب نفسـه أو أخطـاء الطباعـة، وقـد اعتـدت أن أصنـف أخطـاء الطباعـة إلى:

- أخطـاء حميـدة وهـي الأخطـاء الـتي يعـرف القـارئ بسـهولة أنهـا أخطـاء طباعـة ..

- أخطاء خبيثـة وهـي الـتي لا يمكـن أن يقتنـع القـارئ أبـدًا أن الكاتـب لـم يرتكبهـا.

مثـلاً عندمـا تقـرأ عبـارة (ضبـاط نيويـورك أفضـل لصـوص سيارات) في جريـدة أمريكيـة شـهيرة، فأنـت تضحـك أولاً ثـم تـدرك يقينًـا أنـه خطـأ مطبعـي .. في مـصر مثـال شـهير جـدًا للنعـي الـذي نُـشر في جريـدة كـبرى ومعـه العبـارة الشـهيرة (أسـكنه الله فسـيح جناتـه).. قـدم النعـي قبـل النـشر لسـكرتير التحريـر فكتـب بقلمـه (يُنـشر إن كان لـه مـكان). هكـذا نـشر النعـي وقـد كتـب فيـه (أسـكنه الله فسـيح جناتـه إن كان لـه مـكان)!

هـذه أخطـاء حميـدة يعـرف القـارئ عـلى الفـور أنهـا أخطـاء مطبعيـة. أمـا الأخطـاء الخبيثـة فتكـون عـلى غـرار (رأيـت المتظاهـرون).. مهمـا أقسـم الكاتـب أنـه نصـب جمع المذكـر السـالم باليـاء في النـص الأصـلي فلـن يصـدق أحـد .. وسـوف يغمغـم القـارئ: هـؤلاء القـوم لا يعرفـون كيـف يكتبـون .. إنهـا مشـكلة التعليـم منـذ البدايـة.

هنـاك نـوع جديـد مـن الأخطـاء اللغويـة لـم أفطـن لـه إلا مؤخـرًا عندمـا وصفـت حفـلاً في مقـال لي، فقلـت العبـارة الشـهيرة: «ارتـدى الرجـال الفـراك» .. الفـراك هـو بذلـة السـهرة إياهـا. قـرأت المقـال المطبـوع فلاحظـت أن الرجـال ارتـدوا (الفـراء) .. لا أعـرف منـذ مـتى يرتـدي الرجـال الفـراء في السـهرات مـع أنـه سـيجعل شـكلهم سـخيفًا فعـلاً، لكـن الـكلام مطبـوع .. إذن هـو صحيـح ..

الحقيقـة أنـي وجـدت هـذا التعديـل أجمـل وقـد منحـني أفـكارًا رائعـة ..

أمـا عـن (الفريسـيين) - وهـم اليهـود المتحذلقـون المتنطعـون الذيـن كانـوا يتربصـون بالسـيد المسـيح - فقـد تحولـوا بمعجـزة مـا إلى (الفرنسـيين). لـم أكتـب كلمـة (الفريسـيين) في حيـاتي إلا وصـارت (الفرنسـيين). وهكـذا توصلـت إلى حقيقـة مهمـة هـي أن السـيد المسـيح

كان محاطًا بالفرنسيين وكانوا يضايقونه فعلاً. يبدو أن الفرنسيين كانوا سمجين في ذلك العصر.

أما عن النظرات النارية فمن الواضح أنني لا أفهم شيئًا، لأنها تتحول إلى (نظرات نازية)، بينما الحزب النازي الرهيب يتحول إلى حزب (ناري) دائمًا .. يبدو أن الحزب الناري كان يخص الصفوة من ضباط هتلر وكان أكثر قسوة وعنصرية ..

لي صديق طبيب أديب أخبرني في مرارة إنه حينما يتكلم عن (عظمة القص) تتحول إلى (عظمة القفص) .. وحينما يتكلم عن (الهيكل العظمي) تتحول إلى (الهيكل العظيم)، أما عندما يذكر آية من الإنجيل مثل (ماذا ينتفع المرء) فإنها تتحول إلى (ماذا ينفع المرء)..

هكذا وجد السيد المصحح أنه أبرع وأكثر ثقافة من صاحبي .. فهو يعرف الإنجيل أكثر منه برغم أنَ صاحبي مسيحي، وهو يفهم الطب أكثر منه برغم أن صاحبي طبيب!

هناك قانون من قوانين مورفي يقول: «لو كتبت تنتقد الأخطاء اللغوية في عمل أدبي ما، فلسوف يحتوي مقالك على خطئين لغويين على الأقل!». أنا أعرف أكثر من سواي صدق هذا القانون. أحيانًا تذكر خطأ لغويًا ارتكبه

صاحب المقال فيصححه المصحح!.. أي يصحح الخطأ الذي تنشره كمثال للأخطاء!. مثلاً أقول إن الكاتب الفلاني لا يجيد العربية لأنه كتب: «لم أرى أحد هناك».. وينشر المقال فأجد أنني أنتقد الكاتب الذي يقول: «لم أر أحدًا هناك»!. هذا يقنع الناس بأنني مجنون أو متعنت أو كفيف.

من هنا اكتشفت هذه المهنة الجميلة .. مهنة (المغلط اللغوي)، وهو يختلف كثيرًا بالطبع عن المصحح اللغوي. الأخير مهنته أن يتأكد من خلو المقال من الأخطاء، لكن الأول مهنته أن يملأ المقال بها. وهو يمارس عمله بنشاط وحماس وإتقان ولا يخطئ أبدًا. بمعنى أنه لا ينسى شيئًا يمكن أن يجرد الكلام من أي معنى مفهوم. أو للدقة أكثر، مهمته أن يقنع الناس أنني لا أفهم شيئًا.

لقد قابلت بعض هؤلاء فوجدتهم قومًا شديدي الاعتزاز بالنفس.. يؤمنون تمامًا أن الكتاب لا يفقهون شيئًا وراسبون في الشهادة الإعدادية. تكلمه فيصر في كبرياء على رأيه وعلى أنه محق .. ذات مرة قلت لأحدهم: فلنحتكم إلى أحد دارسي اللغة العربية، فقال في فخر: أنا حاصل على الماجستير في اللغة العربية ..!

هكذا قبلت رأيه على مضض، وكان علي بعد ذلك أن

أقبل سيل الخطابات الذي انهمر على رأسي يتهمني بأنني جاهل لا أفقه شيئًا..

مهنة (المغلط اللغوي) خلاقة تحتاج إلى نشاط وخيال خصب .. وبرغم صعوبتها فإنها تنتشر بالتأكيد في الصحافة والكتب مما يدل على أنها مهنة ذات مستقبل. لا يحتاج الأمر إلى دراسة بل يحتاج إلى خيال وصبر وثقة بالنفس .. كما يحتاج إلى كراهية عميقة للمؤلفين ..!

المزيد من أفكارهم

أكـره ألا أنقـل لـك بعـض الأفـكار الممتعـة الـتي تصلـني عـبر البريـد الإلكـتروني، والـتي لا تخلـو مـن ذكاء ورشـاقة .. لهـذا اسـمح لي مـرة أخـرى بـأن أنتحـي جانبًـا فـلا يكـون لي دور سـوى الترجمـة، لكـن لا تعتـد هـذه الإجـازة الممتعـة مـن فضلـك لأنـي عائـد في الأسـابيع القادمـة!

إليك هذه القواعد التي تذكرني بقوانين مورفي الشهيرة:

١- إذا لـم ينتظـرك الوقـت فـلا تقلـق .. فقـط انـتزع البطاريـة اللعينـة مـن السـاعة وتمتـع بحياتـك!

٢- أن تتوقـع أن يعاملـك العالـم برفـق لأنـك إنسـان طيـب، يشـبه أن تتوقـع مـن الأسـد ألا يلتهمـك لأنـك نبـاتي لا تـأكل اللحـوم.

٣- الجمـال لا يقـاس بمنظرنـا الخارجـي أو مـا نلبسـه مـن ثيـاب .. وإنمـا بمـا نحـن في الداخـل. جـرب غـدًا أن تخـرج بـلا ثيـاب لتحظـي بإعجـاب النـاس!

٤- لا تمـش كأنـك تحكـم العالـم .. امـش كأنـك لا تبـالي

بمن يحكم العالم!

٥- كل امرأة تتمنى أن تجد ابنتها عريسًا أفضل مما وجدته هي، وهي مقتنعة أن ابنها لن يجد زوجة ممتازة كالتي وجدها أبوه!

٦- كان رجلاً طيبًا .. لم تكن له علاقات عاطفية ولم يسبب أية مشاكل .. عندما مات رفضت شركة التأمين أن تدفع المبلغ. قال مستشارها إن من لم يعش لا يمكن أن يموت!

٧- هناك سبل عديدة للانتحار، مثل السم والشنق والقفز من بناية عالية .. لكننا نختار الزواج، وهو طريقة انتحار بطيئة لكنها أكيدة!

٨- السائقون الثملون يسببون ١٠٪ من حوادث الطرق .. فهل معنى هذا أن السائقين غير الثملين يسببون ٩٠٪ من حوادث الطرق؟

والآن مع جولة في قاموس المرأة اللغوي الخاص الذي لا يعرفه الرجال:

نعم = لا

لا = نعم

ربما = لا

أنا آسفة = أنت ستكون آسفًا

نحتاج إلى = أنا أريد

افعل ما تريد = سوف تندم بشدة فيما بعد

نحن بحاجة للكلام معًا = أريد أن أشكو

أنا لست متضايقة = أنا سأجن غيظًا أيها الأبله

أنـت مفعـم بالرجولـة = أنـت غـارق في العـرق وتحتـاج لحلاقـة ذقنـك

هذا المطبخ غير مريح = أريد بيتًا جديدًا

سمعت صوتًا غريبا = لاحظت أنك نائم بعمق

هل تحبني؟ = سوف أطلب منك شراء شيء باهظ الثمن

ما مدى حبك لي؟ = أنا ارتكبت مصيبة اليوم

سـأكون جاهـزة خـلال دقيقـة = اخلـع نعليـك وابحـث عـن مبـاراة ممتعـة في جهـاز التلفزيـون

يجـب أن تتعلـم التفاهـم = يجـب أن توافـق عـلى كل كلامـي

هل تسمعني؟ = لقد فات الأوان .. انتهى أمرك!

لا تقلقوا

ترسل لي مدرسة ابنتي ذات السنوات العشر - ابنتي لا المدرسة - تعليقاتها وتنويهاتها في كراس خاص تحمله الطفلة معها. هذا حل رائع لأنك تعرف طريقة الأطفال في إبلاغ الأخبار المهمة .. إما أن ينسوا الأمر تمامًا أو يخبروك به بعد فوات الأوان، أو ينقلوا لك رسالة مغلوطة.. ذات مرة قالت لي ابنتي إن امتحانات آخر العام تبدأ غدًا - وكنا في أيلول (سبتمبر) - لهذا بدأت أقلق بصدد سياسة الحكومة الجديدة التي اختصرت السنة الدراسية إلى أسبوعين. عندما ذهبت للمدرسة عرفت أن الرسالة تقول: «امتحانات الشهر تبدأ بعد أسبوع».. لا تسألني عن كيفية تحول هذه الرسالة إلى تلك، فأنت لا تعرف الأطفال. عندما تنقل لي جدولاً علقوه في المدرسة، أكتشف أن الأسبوع كله أيام ثلاثاء والعطلة يوم الأربعاء والخميس والجمعة .. الخ ..

لهذا أرحب بشدة بتلقي هذه التنويهات لأنني أفهم ما يحدث بالضبط. منذ شهر تلقيت الرسالة التالية:

- «نـزف لكـم نبـأ حصولنـا عـلى ترخيـص وزارة التعليـم، وبهـذا صرنـا مدرسـة معترفًـا بهـا!»

أصابـني القلـق .. إذن فابنـتي منـذ ثلاثـة أعـوام في مدرسـة غـير معـترف بهـا؟.. ولمـاذا لـم يقولـوا هـذا؟. ولمـاذا تسـمح لنـا وزارة التعليـم بتقديـم الأوراق في مدرسـة غـير معـترف بهـا؟ . لكـن الخطـاب يؤكـد أن المشـكلة قـد حلـت والحمـد لله فـلا داعـي لإثـارة المشـاكل.

ظلـت ابنـتي تذهـب للمدرسـة المعـترف بهـا مؤخـرًا، حـتى أحـضرت لي خطابًـا يقـول:

- «نـزف لأوليـاء الأمـور نبـأ إزالـة مصنـع الطـوب الـذي كان يسـبب كل التلـوث الـذي تشـكون منـه»

هـل كان هنـاك مصنـع طـوب؟.. مـتى؟.. لقـد زرت المدرسـة عـشرات المـرات ولـم أر مصنـع طـوب ولا تلوثًـا .. عـلى كل حـال هـم يؤكـدون أن المشـكلة حلـت ..

ظلـت ابنـتي تذهـب للمدرسـة المعـترف بهـا الـتي لـم يعـد جوهـا ملوثًـا، حـتى جـاءت تحمـل الرسـالة التاليـة:

- «لـم يعـد هنـاك داع للقلـق مـن حـوادث الطـرق المتكررة أمـام المدرسـة، لأننـا وضعنـا مجموعـة مـن المطبـات الصناعيـة .. هنيئًـا لكـم»

هـل كانـت هنـاك حـوادث؟.. يبـدو أن ابنـتي نجـت بمعجزة إذن .... كانـت في مدرسـة ملوثـة الجـو وغـير معـترف بهـا، وكانـت الحـوادث تـدور أمامهـا بـلا انقطـاع .. هنيئًـا لي أن كل هـذا قـد زال .. إن الغـد يبـدو رائعًـا ...

بعد أيام جاءت الرسالة التالية من المدرسة المتحمسة:

- «بخصـوص عـدم وصـول كتـب اللغـة الفرنسـية والرياضيـات والعلـوم، نحيـط علـم السـادة أوليـاء الأمـور بأننـا في سـبيلنا لحـل هـذه المشـكلة»

أنـا لا أدرس لابنـتي لـذا هرعـت أسـأل أمهـا عـن هـذا الموضـوع، فقالـت لي إن الخـبر صحيـح، لكـن لا تقلـق لأن المدرسـة وعـدت بحـل هـذه المشـكلة ..

لابـد أن هـذه المدرسـة كانـت جهنـم منـذ أسـابيع ثـم صـارت جنـة الفـردوس .. المشـكلة أنـني لـم أعـرف ولـم يقـل أحـد مـن قبـل إنهـا جهنـم. هكـذا ظلـت ابنـتي تذهـب للمدرسـة الآمنـة المعـترف بهـا الـتي لـم يعـد جوهـا ملوثًـا، والـتي سـتحل مشـكلة الكتـب غـير الموجـودة، حـتى جـاءت بنبـأ جديـد:

- «بصـدد مـا قيـل عـن تفـشي وبـاء الجديـري في المدرسـة، نـزف لكـم النبـأ أننـا سـنقوم بعمـل حملـة تطعيـم عمـا

قريب، برغم أن الخبر غير صحيح»

سألت ابنتي عما إذا كان هناك وباء جديري في المدرسة، فقالت في فخر إن (هيثم) و(آسر) و(غادة) و(أحمد) و(محيي) أصيبوا بمرض يملأ جسدهم بالبثور لكن المدير يؤكد لهم أن هذا ليس الجديري... ولماذا لم تقولي هذا؟.. لأنها نسيت.

كان هذا الكلام منذ ثلاثة أيام قبل أن ترتفع حرارتها، ثم يمتلئ جسدها الصغير بالبثور وترقد في الفراش ....

الآن أجد نفسي مضطرًا إلى نقلها من هذه المدرسة لأنني أتوقع أن يصلني بعد أسابيع خطاب يقول:

- «نؤكد لكم أننا قبضنا على السفاح الذي كان يذبح الأطفال ويصنع منهم مربى ..»

أو:

- «نزف لكم أن هيئة الطاقة الذرية تؤكد أن موقع المدرسة لم يعد ملوثًا بالإشعاع النووي بعد انفجار المفاعل المجاور للمدرسة ..»

أو:

- «نزف لكم قيام منظمة الصحة العالمية بحذف

المدرسة من قائمة المناطق الموبوءة بفيروس إيبولا والحمى الصفراء والإيدز»

دعك من شعوري بأنني غائب عن الوعي وأب غير مسئول لا يعرف شيئًا على الإطلاق. أو ربما قررت أن أبقي ابنتي حيث هي باعتبار المدرسة قد صارت أفضل بكثير مما كانت ولا يمكن أن يحدث شيء جديد بعد هذا كله .. فما رأيك أنت؟

اختراعات عبقرية

كنـت أتأمـل السـيارات في طفولـتي متسـائلاً عـن العقليـة المعقـدة الـتي ابتكـرت اختراعًـا اسـمه (صنـدوق الـتروس). يجـب أن تكـون هنـاك دواسـة (دبريـاج) تضغـط عليهـا ثـم تحـرك عصـا السرعـات لانتقـاء السرعـة الـتي تريدهـا، وعليـك في كل لحظـة أن تختـار السرعـة المناسـبة للموقـف .. بـدا لي هـذا معقـدًا جـدًا ويزيـد مـن مصاعـب الحيـاة .. بالنسـبة لطفـل يبـدو مـن المنطقـي أكـثر أن تضغـط عـلى دواسـة الوقـود .. كلمـا ضغطـت أكـثر ازدادت سرعـة السـيارة فـلا داعـي لهـذه الطقـوس البيزنطيـة...

عندمـا رأيـت أول سـيارة أوتوماتيكيـة في حيـاتي أدركـت أنـني كنـت عـلى حـق، وأن هنـاك مـن فكـر في سـخف الأمـر وقـرر أن يصححـه ..

ازددت طمعًـا وبـدأت أفكـر في المزيـد مـن التحسـينات التي كنـت أحلـم بهـا في طفولـتي عـلى هـذا الاخـتراع السـخيف : السـيارة. فقـط لـو كنـت مهندسًـا وأملـك مصنـع سـيارات لقدمـت للعالـم السـيارة المثاليـة الـتي أحلـم بهـا..

أولاً لماذا يجب أن تكون عجلة القيادة على اليسار أو اليمين؟.. لقد رأيت عجلات القيادة على اليمين في دول الكومنولث وبدت لي أكثر سخفًا من وضعها على اليسار. لماذا لا توضع في المنتصف؟.. ألا يمنحك هذا سيطرة أفضل ورؤية أفضل للطريق؟.. صحيح أن هذا يهدد بتحويل السيارة إلى دراجة ثلاثية لكنه أقرب للانتظام الهندسي. من الجميل أن يقود المرء السيارة وقد جلست زوجته عن يمينه وحبيبته عن يساره.

ثانيًا لماذا يجب أن تكون السيارة مقيدة بمجال الحركة العجيب هذا؟.. تكون بين سيارتين فتتحرك للأمام وتلف عجلة القيادة إلى آخر مدى لها .. وكراش!.. هذا صوت تهشم الكشاف الخلفي للسيارة التي أمامك .. ثم تدير عجلة القيادة بالعكس وتتحرك للخلف إلى آخر مدى.. كراش!.. هنا تسمع صوت تهشم الكشاف الأمامي للسيارة التي خلفك .. الآن صار عليك أن تقوم بهذه الحركات البهلوانية عدة مرات إلى أن تخرج السيارة من المصيدة التي وقعت فيها، وعليك أن تفعل هذا بسرعة قبل أن يصل صاحبا السيارتين .. حركة متخشبة عجيبة كأنك شخص مكسور مغلف بالجبائر يحاول الدخول من باب ضيق ...

لماذا لا تزود السيارة برافعة ترفعها من أسفل لتصير فوق مستوى السيارات المحيطة بها؟. تدور على محور الرافعة إلى الاتجاه المطلوب ثم تنزل .. هكذا لا صعوبات ولا إصابات .. بالطبع هذا مريح كذلك في الكارثة الأخرى: أن تتراجع بظهرك لتوقف سيارتك بين سيارتين ..

وماذا عن رؤية السيارة من الخارج؟.. ترى على شاشة صورة واضحة لك من أعلى عبر الأقمار الصناعية، فتعرف أين أنت بالضبط وتتجنب ما لا يجب أن تصدمه من سيارات الآخرين .. لا مزيد من العمى وصور المرآة الزائفة التي تجعلك لا تعرف موقعك بالضبط. وماذا عن مصدات التصادم التي تحدث تنافرًا مع السيارات القريبة منك لو دنت أكثر من اللازم؟.. وماذا عن وضع قرص مدمج في ذاكرة السيارة ثم تحدد بالمؤشر المكان الذي تريده، وتترك السيارة تذهب لوجهتها بينما تنام أنت؟.. لا شك إن السيارات الحديثة مزودة بكثير من هذا لكني أحلم بهذه الخدمة لكل سيارة حتى الرخيصة منها.

هل هذا كاف؟... لا وحياتك .. هناك لوحات السيارة الرقمية التي تتغير بشكل عشوائي كل خمس دقائق .. هكذا لا يظفر بك رجال المرور أبدًا .. ربما تنهض في الصباح عازمًا على أن تجرب رقمًا جديدًا مرحًا اليوم.

طبعًا هو اختراع غير قانوني لكن يمكن أن يفرضوا رسمًا سنويًا ضخمًا على صاحب هذه الأرقام يعوضهم عن المخالفات التي لن يحصلوا عليها.

الجهاز الذي يخدع الرادار؟.. قديمة ومخالف للقانون بلا شك ...

للأسف اليد قصيرة وخبراتي التكنولوجية ضحلة جدًا، لهذا عرضت بعض أفكاري على صديقي المهندس .. قلت له إنني أحلم بسيارة اقتصادية توفر النقود والوقود... سهلة القيادة .. لا تلوث الجو .. يمكن أن تحشرها في أي زحام .. غير قابلة للسرقة .. بلا أرقام تضايقك لدى المرور .. قليلة الأعطال جدًا ...

فكر صديقي طويلاً وراح يحك لحيته مفكرًا، ثم وعدني بأن يعرض علي تصميمًا مناسبًا خلال يومين. زرته في الموعد متلهفًا فاقتادني إلى المرآب ليريني تحفته التكنولوجية.. وجدت دراجة هوائية عادية جدًا وعتيقة وصدئة. لكنه أقسم لي أنها لم تتلف مرة واحدة منذ كان في المدرسة الابتدائية ..

أخذتها مسرورًا وقد وجدت أنها تحقق ٩٠٪ من أحلامي، ولم ينس أن يعطيني جنزيرًا وقفلاً كي أتأكد من أنها لن تُسرق .. بالفعل تكون الحلول السهلة أمام عيوننا منذ

البداية فلا نفطن لها.. إنني لسعيد الحظ حقًا.

سبعة وجوه للحب

أنا الآن أحفظ طباع (مروة) جيدًا .. يؤسفني أن أصفها بالهستيريا، لأن هذا يعيد للأذهان التهمة سيئة السمعة التي لحقت بجنس النساء منذ زمن، حين قيل إن مرض الهستيريا مرض أنثوي، ولهذا اشتق اسمه من لفظة (هستر) أي الرحم.

(مروة) هستيرية بلا شك .. إنها لا تكون نفسها أبدًا .. قابلت فتيات كثيرات مثلها من قبل. أعتقد أنها لا تعرف من هي حقًّا .. في كل صباح جديد تمثل دورًا وتتقمصه بشدة، ثم تنساه وتقرر أن تأتي بوجه آخر؛ حتى إنني تذكرت أغنية البيتلز القديمة عن المرأة التي تحتفظ بوجهها في جرة جوار الباب .. تلبس في كل يوم وجهًا جديدًا تقابل به الناس ..

اليوم السبت .. (مروة) اليوم عاطفية مخلصة تحب الأطفال والناس والقطط الصغيرة والكلاب .. تسبغ حنانها على العالم وتكرر بلا توقف (يا حرام!). دامعة العينين متأثرة تحتضن ذراعي وترتجف وهي تقول لي: «تصور

مـدى الجمـال في العالـم!... أنـا موشـكة عـلى البـكاء»

اليـوم الأحــد .. إذن مـروة فيلسـوفة غامضـة .. صامتـة تضـع نظـارة سـوداء ولا تتكلـم تقريبًـا .. تقـول لهـا إنهـا جميلـة فتغمغـم: «أم م م م»، أو -لـو كنـت محظوظًـا- تـنزع النظـارة وتغمـض عينهـا بمـا يعـني الموافقـة ثـم تضـع النظـارة ثانيـة .. تكتـب أشـياء في كراسـها فـإذا ألقيـت نظـرة أغلقـت الكـراس بسرعـة، ثـم تمـضي السـاعات تراقـب الغـروب ولا تقـول شـيئًا .. لـو أنـك قـرأت قصـة (أبـو الهـول الـذي لا سر لـه) لأوسـكار وايلـد لأرحتـني مـن الوصـف ..

اليـوم الاثنـين .. مـروة اليـوم ثريـة مغـرورة مشـمئزة مـن كل الفقـراء القذريـن الذيـن يلوثـون هـذا العالـم .. لا تكـف عـن الـكلام عـن (دادي) ورحلتهـا حـول العالـم واستكشـافها لكهـوف الإنديـز والأمنيـة الـتي تمنتهـا وهـي تقـف أمـام تلـك النافـورة في رومـا .. تلتهـم قطعـة مـن الآيـس كريـم الباهـظ الـذي ابتعتـه لهـا، ثـم تقـول في اشـمئزاز: «كل هـذه الأنـواع حقـيرة جـدًا بالمقارنـة بمـا ذقتـه في مطعـم ماكسـيم .. إن المـرء يتنـازل عـن أشـياء كثـيرة لكـن التنـازل عـن ماكسـيم أمـر لا يطـاق .. أمـر يفـوق التحمـل»

الثلاثــاء .. هــذا هــو اليــوم الــذي تنكـش فيــه شـعرها وتلبــس ثيابًــا بسـيطة وتتحــول إلى مناضلــة. تحمــل تحــت

إبطها مجموعة من المنشورات الماركسية وتتكلم عن دكتاتورية الطبقة العاملة والبروليتاريا، وتدعوك لوقفة اعتصامية أمام نقابة المحامين .. لو اعتذرت فأنت جبان ومثقف منافق .. إلى متى سنظل سلبيين بهذا الشكل؟... أقول لها إنني سأكون إيجابيًا وأرفض ... (بالمناسبة هي تدخن في هذا اليوم ويوم الأحد فقط)...

الأربعاء .. إنها اليوم شعبية جدًا .. ترغب في الجلوس على مقهى ، والتهام الفول والطعمية ولحم الراس وشرب الشاي الكشري في مقهى قذر بحي الحسينية.

الخميس .. هو يوم الشراسة .. إنها نمرة متوحشة تتشاجر مع كل الناس ومع سائقي سيارات الأجرة ومع باعة الصحف ورجال المرور . الدخان الأسود يتصاعد من شعرها وهي مستعدة لأن تمزقك بأسنانها لو استفززتها.. تقول لك: المرء يتحمل كثيرًا جدًا وقد فاض بي الكيل..

الجمعة .. هو يوم الراحة .. أعتقد أنها لا تذكر من هي حقًا .. لهذا تقضي اليوم كله في الفراش منكوشة الشعر زائغة النظرات ولا تخرج ولا تغسل وجهها .. هناك حكايات عن أخيها الذي دخل غرفتها فأصيب بالخرس بسبب الرعب، وحكايات عن أمها التي تعالج من الاكتئاب بسبب منظرها في ذلك اليوم .. لكني لا

أصدق هذه القصص ...

لقد سئمت كل هذا التصنع .. كما تقول كتب علم النفس فإن الشخصية الهستيرية ممتازة للعلاقات الاجتماعية، ولديها موهبة فطرية في التمثيل. لكنها بالتأكيد لا تصلح زوجة ..

ذهبت لأقول لها إن علينا أن نفسخ الخطبة، لكنه كان يوم سبت .. لهذا بدت لي رقيقة جدًا رومانسية جدًا، وشعرت بأنني حمار كبير ومتوحش .. لا .. لن أجرؤ على أن أجرح مشاعرها ..

في المرة الثانية ذهبت لها فوجدت أنه يوم ثلاثاء .. لم تصغ لحرف مما أقول لأنها كانت مشغولة بإرسال برقيات لعدة جهات حكومية تدعوها للإضراب ..

اليوم طلبت لقاءها، وعندما وصلت تذكرت أن اليوم هو الخميس .. كانت تنظر لي في توحش وهي تلوك قطعة من اللادن في تحفز، وفي عينيها نظرة توحي بقطع الرقاب .. سألتني عن سبب لقائنا فقلت إنني .. إنني ..

- «تكلم!.. أنت تتلعثم كطفل أبله متخلف عقليًا ..»

- «كنت أفكر في ....»

خرج الشرر من عينها وعادت تسأل:

- «أنت تفكر في ماذا؟»

- «في .. في أنني أهيم بك حبًا .. ها ها .. ماذا ظننت؟»

سـوف أجـد فرصـة مـا .. ربمـا يـوم الاثنـين أو الأربعـاء.. ثقـوا بهـذا ... سـوف اكـون حازمًـا وأنهـي علاقتنـا بلطـف وحكمـة . المهـم ألا أخطـئ اختيـار اليـوم وإلا حدثـت كارثـة!!

فضيحة روتينية

كنت سيء الحظ والأداء والتفكير والحالة المعنوية في ذلك الاختبار الذي تعقده المصلحة التي أعمل بها للموظفين، وكانوا يجرونه علينا في المركز الرئيس بالقاهرة.. هكذا مررت بلحظات أليمة ولكني تلقيت درسًا قاسيًا هو أن علي أن استعد للاختبار القادم بصورة أفضل ..

لي صديق في شئون الموظفين اتصل بي هاتفيًا وقال في ارتباك:

ـ «احم .. هناك تقرير قد وصل المصلحة من المركز الرئيس، وهو تقرير شديد السوء .. أقترح أن تسلمه للمدير بيدك لأنه سيمر على عشرين موظفًا لو تم تسليمه بالإجراءات المعتادة .. أعتقد أنك لا تحب أن يقرأه كل موظف وكل ساع في المصلحة ..»

شكرته بشدة وفي الصباح هرعت إلى مكتبه لآخذ التقرير.. كان غاية في السوء طبعًا يتضمن عبارات مثل:

ـ «تبين أن أداء السيد (عبد العظيم عبد العظيم) في

منتهى السوء وأنه لا يفقه شيئًا في مهنته وأنه نموذج سيء للموظف، وأن عقله كعقل بعوضة .. مع جزيل الشكر»

هكذا أخذت التقرير الرهيب في حقيبة مغلقة وحملته للمدير بعد ما تأكدت من أن مكتبه خال، فألقى عليه نظرة عاجلة .. كان يثق بعملي ويرتاح لي، لذا لم يعلق كثيرًا .. وضعه في درج مكتبه فعرفت أن الأمر انتهى..

لكني نسيت أنني في مصر حيث ولدت البيروقراطية، وحيث هناك حرب ورقية مستعرة بين الجهات المختلفة طيلة الوقت. هكذا فوجئت بسكرتيرة المدير تتصل بي لتقول في حرج إن هناك مذكرة سيئة ترغب في أن أسلمها بنفسي للمكتب الرئيس في القاهرة بدلاً من أن يتداولها ألف موظف.. هرعت لمكتبها فوجدت رد المدير مطبوعًا بأناقة:

ـ «السيد مدير المركز الرئيس . وصلتنا مع الشكر مذكرتكم المؤرخة بتاريخ ...... بخصوص السيد (عبد العظيم عبد العظيم)، والتي تفيدنا بأن أداءه في منتهى السوء وأنه لا يفقه شيئًا في مهنته وأنه نموذج سيء للموظف، وأن عقله كعقل بعوضة .. وقد تمت إحاطتنا بهذا مع الشكر»

أخذت الورقة وسافرت بها إلى المركز الرئيس في القاهرة

وسلمتها بنفسي، وعدت ... عدت لأجد بانتظاري مذكرة من المركز الرئيس تقول:

- «السيد مدير مصلحة (.....).. نشكركم على إخبارنا بأنكم تلقيتم تقريرنا الخاص بالسيد (عبد العظيم عبد العظيم)، والذي يفيد بأن أداءه في منتهى السوء وأنه لا يفقه شيئًا في مهنته وأنه نموذج سيء للموظف، وأن عقله كعقل بعوضة .. ونحن نعتمد عليكم في إبلاغ الأقسام الخاصة كل حسب تخصصه بالتقرير مع إخطارنا بأية تغييرات...... وتفضلوا بقبول وافر الشكر»

بصعوبة أنقذت هذا التقرير اللعين ودخلت به إلى المدير ، فقرأه بسرعة ثم وضع عليه تأشيرة تقول: «تخطر الأقسام جميعًا بهذا»

حملت صورة من التقرير إلى إدارة المحفوظات، فكتب مدير الإدارة إلى مدير المصلحة:

- «السيد مدير مصلحة (.....).. نشكركم على إخبارنا بالتقرير الخاص بالسيد (عبد العظيم عبد العظيم)، والذي يفيد بأن أداءه في منتهى السوء وأنه لا يفقه شيئًا في مهنته وأنه نموذج سيء للموظف، وأن عقله كعقل بعوضة .. وسوف نتخذ الإجراءات اللازمة مع الشكر»

هكذا مررت بصور التقرير على كافة أقسام بالمصلحة كي أقلل من عدد الأيدي التي تتعامل معه. وفي النهاية صدر تقرير من مكتب المدير يقول:

- «السيد مدير المركز الرئيس . بناء على مذكرتكم المؤرخة بتاريخ ...... بخصوص السيد (عبد العظيم عبد العظيم)، والتي تفيدنا بأن أداءه في منتهى السوء وأنه لا يفقه شيئًا في مهنته وأنه نموذج سيء للموظف، وأن عقله كعقل بعوضة .. تمت إحاطة كافة أقسام المصلحة بذلك بناء على تعليماتكم، وتفضلوا بقبول وافر الشكر»

رد المركز الرئيس بمذكرة حرصت على أن استلمها بنفسي قائلاً:

- «نشكركم بشدة على إبلاغ كل أقسام المصلحة بأن أداء السيد (عبد العظيم عبد العظيم) في منتهى السوء وأنه لا يفقه شيئًا في مهنته وأنه نموذج سيء للموظف، وأن عقله كعقل بعوضة .. ونرجو لكم دوام التوفيق»

الآن أنا ألاحق هذا التقرير منذ عام .. ويبدو لي أنه قادر على التوالد ذاتيًا كالبكتريا والفيروسات، وقد وجدت أنني نجحت في تقليل عدد من عرفوا الحقيقة إلى ١٦٠٠ موظف بدلاً من أن يكونوا ١٧٠٠ ..

مـن الصعـب وسـط كل هـذه البيروقراطيـة أن يمـر تقريـر مـر الكـرام. عـلى إنـني سـعيد الحـظ لأنهـم لـم يبلغـوا الفضائيـات بالأمـر .. لكـني كلمـا فتحـت التلفزيـون توقعـت أن تقـول المذيعـة الحسـناء: «جاءنـا الآن مـا يـلي .. تبـين أن السيد (عبـد العظيـم عبـد العظيـم)، لـه أداء في منتهـى السـوء ولا يفقـه شـيئًا في مهنتـه وهـو نمـوذج سيء للموظـف، وعقلـه كعقـل بعوضـة .. نلتقـي الآن مـع مراسـلنا في القاهـرة لنعـرف التفاصيـل ..»

لـم تـأت هـذه اللحظـة بعـد، لهـذا مـا زلـت أعتقـد أن (الـسر في بـير)..

درس تربوي

مع تدفق الأفلام الأمريكية عبر الفضائيات، صارت الشتائم تتسلل إلى بيتك وغرفة نومك وغرفة جلوسك، لأن كتاب هذه الأفلام يصرون على استعمال ألفاظ فاحشة بدعوى الواقعية. ومن الغريب أن هناك إحصائيات لهذه الشتائم .. حتى اللحظة ما زال الفيلم الأمريكي (خيال شعبي) هو الأعلى في استعمال لفظة بذيئة معينة، فقد استعملها ٢٦٩ مرة، يليه في قائمة (الشرف) فيلم (أشخاص طيبون) حيث كان الأبطال من عصابات المافيا ولابد أن يشتموا ..هكذا استخدموا تلك اللفظة ٢٦٥ مرة فقط .. هناك أفلام ابتكرت شتائم جديدة تمامًا لم يلفظها أحد قبل الفيلم مثل لفظة (فوبار) التي اخترعها فيلم (إنقاذ المجند رايان).

لقد اعتدنا هذا على كل حال برغم أن بعض القنوات بدأت تحذف هذه الألفاظ من شريط الصوت. أنا أقبله برغم أن جيل الأطفال الحالي يعتقد أن هذه الألفاظ من مفردات اللغة الإنجليزية المهمة، ويستعملونها أكثر مما يستعملون أداة التعريف The ..

تـأتي المشـكلة عندمـا اصطحبت ابنـتي الصغـيرة وصديقاتها إلى السـينما لمشـاهدة فيلـم مـصري كوميـدي مـن تلـك الأفـلام الجديـدة الـتي لا تعلـق بذاكرتـك ثانيـة واحـدة بعـد انتهائهـا .. أربـع زهـرات صغـيرات في التاسـعة يضحكـن حـتى تدمـع عيونهـن مـع كل الصفعـات والمقالـب السـخيفة عـلى الشاشـة، وأنـا أتابـع الفيلـم دامـع العينـين مـن فـرط إعجـابي بنفـسي .. أنـا أب حقيقـي .. أب رائـع .. أب يضحـي بوقتـه وراحتـه النفسـية ويشـاهد كل هـذا الهـراء كي تسـتمتع ابنتـه..

هنــا كان بطــل الفيلــم يمســك بشــاب أجنــبي ويوشــك عــلى ضربــه لأنــه عاكــس حبيبتــه، لــولا أن قــال لــه الشــاب بالإنجليزيــة: «آي آم جــاي..!» يعــني (أنــا شــاذ)..

هنا ارتفع في ظلام السينما صوت ابنتي البريء يقول:

ـ «بابا .. ما معنى (آي آم جاي)؟»

سـاد الصمـت السـينما كلهـا وحبـس كل النـاس أنفاسـهم انتظـارًا لمـا سـأقول . طبعًـا فعلـت الـشيء الوحيـد الممكـن:

ـ «لم أسمع ما قال .»

عاد صوتها الرقيق يسأل بصوت عال:

ـ «قال له (آي آم جاي) فتركه .. ما هو السبب؟»

قلت في حكمة:

ـ «لا أعرف .. ربما لو سمعت لفهمت ..»

من جديد عادت أحداث الفيلم تتكرر وعادت أنفاسي تدخل وتخرج في صدري، إلى أن تكرر على الشاشة نفس الموقف حرفيًا .. ومن جديد دوى صوت صديقة ابنتي:

ـ «عمو .. ما معنى (آي آم جاي)؟»

ـ «هه؟»

ـ «لقد قالوها ثانية ..»

فكرت لربع ثانية، ثم قلت على الفور:

ـ «معناها أنه مصاب بصداع .. نعم .. البطل لم يضربه لأنه مصاب بصداع ..»

هنا قال واحد جالس خلفي في السينما بلهجة معلم الأجيال الذي لا يطيق أن يسمع أحدًا يهذي بما لا يعلم:

ـ «لا مؤاخذة يا أستاذ .. (جاي) ليس معناها أنه مصاب بصداع .. بل معناها ....»

استدرت له موشكًا على لكم فمه، وقلت بغلظة:

ـ «بل هي كذلك .. ولتعن بشئونك الخاصة من فضلك»

هنا قالت ابنتي بصوتها الرفيع العالي:

ـ «ما معناها إذن؟.. هذا الرجل الجالس خلفنا يقول إنها لا تعني الصداع»

ـ «سوف أشرح لك فيما بعد .. تابعي الفيلم .. تابعن الفيلم يا بنات وإلا هشمت رءوسكن .. لن تتأثر حبكة الفيلم أو يفسد لو عرفتن معنى كل كلمة ..»

ـ «ولكن ...»

ـ «ش ش ش!!.. لو سمعت كلمة أخرى لغادرت السينما..»

هكذا ظللن يشاهدن الفيلم في تعاسة شاعرات أن الكلمة التي لم يفهمنها هي ذروة الفيلم وحلاوته وأجمل ما قيل فيه. أما أنا فتمنيت لو أحضرت الأخ كاتب السيناريو من عنقه لأسدد له بعض اللكمات .. ألم تقل يا أخ إن الفيلم كوميدي ومناسب للأطفال؟.. إذن لماذا تحشر فيه هذه الألفاظ؟.. سوف أحطم رأسه حتى لو قال لي (آي آم جاي) ألف مرة ..

انتهى الفيلم فخرجنا .. كان رأسي ينبض كالطبل وأصاب ضوء الشارع شبكيتي بشلل تام. تحسست رأسي وقلت لابنتي:

ـ «صداع عنيف فعلاً»

هنا رأيتها تفكر قليلاً .. تستعمل الضمائر كما تعلمتها في المدرسة وتحاول تكوين جملة جديدة. ثم صاحت في مرح بصوت سمعه كل الخارجين من السينما:

ـ «بابا .. أنت عندك صداع .. إذن .. يو آر جاي!»

وانتظرت أن أهلل انبهارًا بعبقريتها. طبعًا لن أحكي عما حدث بعد هذا لأن لك خيالاً واسعًا، لكني أقولها بوضوح: أنا لا أصلح أن أكون أبًا متفهمًا حنونًا كما كنت أعتقد في نفسي. يبدو لي أن سياسة ضرب الأطفال مفيدة وتؤتي أكلها في أحيان كثيرة.

نبيذ وفحم

في إحدى قصص (أستريكس) المصورة الطريفة كانت هناك قرية غالية لا يمارس أهلها إلا نشاطًا واحدًا هو بيع النبيذ والفحم. الكل يبيع النبيذ والفحم لدرجة أن أهل القرية صاروا يشترون ما يحتاجون إليه من بعضهم!

لماذا أتذكر هذه القصة الآن؟.. ربما نعرف السبب بعد قراءة المقال ..

بدأ الأمر كظاهرة هامسة .. نوع من الطفح الجلدي البسيط الذي لا تراه إلا بالتدقيق وفي إضاءة ممتازة، ثم بدأ يتفاقم يومًا تلو الآخر حتى أدركت في هلع أنه مرض جلدي عضال مرعب أصاب كل شيء ..

مع ظهور الإنترنت، ومع ظاهرة المدونات صار كل شاب قادرًا على أن يكتب وينشر ما كتبه في اللحظة ذاتها، ثم صارت هناك ظاهرة فريدة هي أن كل شاب صار أديبًا.. كلما قابلت أحدهم قال لي:

ـ «ألم تعرف أن مجموعتي القصصية الجديدة ستصدر

قريبًا؟»

وأنظر للشاب فأجد أن سنه لا تتجاوز الثالثة والعشرين، وهذا لا يعني شيئًا بالطبع لأن الموهبة لا سن لها، وموتسارت كتب أولى سيمفونياته في سن السادسة، لكن الكتابة الأدبية نشاط بشري يختلف، لأنه يحتاج إلى أن - تصور هذا - تقرأ كثيرًا جدًا، وأن تمر بعدد من التجارب الإنسانية الطاحنة المريرة. ما هي نوعية التجارب التي يمكن أن يمر بها شاب في هذه السن أعنف من توبيخ المعلم أو حب ابنة الجيران؟..

إنه كذلك يريد النشر، وهو ما وصفه ببراعة الساخر الأمريكي مارك توين عندما قال: «حتى الإسكافي لا يعرض أول حذاء قام بتفصيله للبيع ولا يجرؤ، لكن الأديب الشاب يريد بحماس أن ينشر أول عمل له مهما كان، ويغضب جدًا لو لم يسمح له أحد بذلك»..

لكنني أقرر أن الأمر يتوقف على العمل نفسه على كل حال، وآمل في كل مرة أن أكون حمارًا وأن أفاجأ بتحفة فنية لا تقل روعة عما كان (أبو القاسم الشابي) يكتبه وهو في العشرين من عمره .. للأسف يتضح غالبًا أنني لست الحمار الذي تمنيته وأن الشاب يدور فعلاً في فلك لوم المعلم وحب ابنة الجيران أو استنساخ عمل أكثر

عمقًا لكاتب كبير .. مثلاً قرأت لشاب من هؤلاء يصف آلام الشيخوخة وعذابها!..

صار الأمر خطيرًا لأنني بحكم تخصصي أكتب للشباب دومًا، ولهذا أتلقى دومًا تلك الحقيبة المليئة أو هذا الملف المتخم بالكتابات ويطلبون رأيي ..

بعد فترة وجدت أنني لم أعد أقرأ سوى كتابات الشبان وهي محاولاتهم الأولى غالبًا .. وهكذا بدأت مقاييسي عن العمل الأدبي الجيد تذوب وتتآكل ولم أعد أعرف ما الذي يميز ماركيز أو ساراماجو عن أي شاب من هؤلاء .. الكل يكتب .. والمشكلة الحقيقية تأتي عندما تكون أعمالهم غير صارخة السوء، بمعنى انها ليست جيدة ولا سيئة .. هنا يستحيل علي أن أعرف ما هو جيد أو رديء ..

على سبيل إنقاذ النفس أفر من وقت لآخر إلى عوالم تشيكوف وهيمنجواي لأتذكر الأدب الجيد وكيف كان مذاقه ..

دعك من السؤال الأخطر: ما الذي يميزني عنهم؟.. كلنا نكتب وننصب خبر (كان) واسم (إن) .. صحيح أنني أحذف نون جمع المذكر السالم عند الإضافة وهم لا يفعلون، لكن هذا لا يكفي لجعلي عبقريًا ..

لي صديق يكتب روايات جيدة، وقد سمع عن مسابقة مهمة في الرواية .. هكذا سافر من بلدتي إلى القاهرة قاصدًا المقطم – وهي رحلة تشبه رحلات أوديسيوس في الأساطير الإغريقية – كي يقدم خمس نسخ من روايته .. يحكي لي صديقي في رعب أنه :

١- وجد كمًا هائلاً من الروايات على مكتب السكرتيرة.. عدة أكوام وكل كومة تصل إلى السقف بلا مبالغة.

٢- السكرتيرة المكلفة بتسلم الأعمال كانت مشغولة ولا تعيره انتباهًا .. لماذا؟.. لأنها كانت منهمكة في تصحيح روايتها التي ستتقدم بها لذات المسابقة!!!

هكذا لم ينتظر صاحبنا وحمل النسخ الخمس وفر قبل ان يسمع كلمة واحدة ..

لحسن الحظ أن ابني لا يهتم بهذا الهراء الأدبي .. هو يؤمن أن كل شيء مهم في العالم قد تم تحويله إلى فيلم سينمائي أو لعبة على (البلاي ستيشن) .. بالتالي لا داعي لهذا التكلف الذي يجعلك تسهر وتشرب الشاي الثقيل واصفًا أوجاعك ..

لحظة لأنه يدخل الغرفة .. ماذا تريد يا فتى؟..

يقول في خجل إنه قرر أن الأدب ليس عملاً سخيفًا

وهـو يريـد أن أقـرأ أول قصـة لـه. هنـا دخلـت أمـه الغرفـة وقالـت بلهجـة مبطنـة بالتهديـد:

ـ «طبعًـا يسـتحق أن ينـشر هـذا العمـل لـه في مجلـة مهمـة.. لا اصدق أنـك تقـضي وقتـك في نـشر أعمـال كل مـن تقابلـه ولا تنـشر العمـل الأول لابنـك الوحيـد!»

نبيـذ وفحـم!.. كلنـا نبيـع النبيـذ والفحـم وكلنا نشـتريهما.. لـو احتجـت أيـة كميـة مـن النبيـذ والفحم فأنـا تحـت أمرك..

كيف تنجو من فيلم رعب؟

إذا وجدت نفسك بطلاً لفيلم رعب يمكنك أن تنجو لو قرأت هذه التعليمات جيدًا .. نفذ ما فيها حرفيًا فهي خلاصة مشاهدة مئات من أفلام الرعب الأجنبية بدءًا بأفلام دراكيولا وانتهاء بسلسلة الصرخة.. هذه التعليمات هي ترجمتي لمساهمات ذكية قدمها زوار موقع إنترنت اسمه (دكتور كيزي):

- حينما يبدو أنك قتلت المسخ لا تتوقف لتتأكد من أنه مات فعلاً..

- لا تقرأ أبدًا أي كتاب استدعاء للشياطين بصوت عال، حتى لو كان هذا على سبيل المزاح .

- لو بدأ أطفالك يتكلمون اللاتينية أو يتكلمون بصوت غير صوتهم، فاقتلهم فورًا .. هذا سوف يوفر عليك الكثير من المعاناة فيما بعد (ملحوظة: لن يموتوا بسهولة لذا كن مستعدًا).

- لو كانت الشلة تنوي قضاء الليل في بيت مسكون

مهجور بالبلدة فلا تذهب معهم .. بصفة خاصة لو كانوا جميعًا ثنائيات من فتى وفتاة وأنت الوحيد المنفرد فيهم .. أما لو كنت أنت مهرج الشلة فعليك أن تكتب وصيتك أثناء طريقك لهذه السهرة.

- كقاعدة عامة: لا تحل الألغاز التي تفتح بوابات إلى الجحيم.

- لا تتوقف عن القيادة لتعرف كنه هذا الشيء المريع الذي التصق بالزجاج الأمامي لسيارتك.

- لا تعد أبدًا لاسترداد شيء فقدته ومن فضلك لا تمش في الغابة ثلاثة أميال حتى تتبول.

- استمع لموسيقا الفيلم التصويرية وراقب المشاهدين.. إنهم أذكى مما تعتقد ..

- حينما يطاردك شيء مريع فلتتذكر أن محرك سيارتك لن يدور مهما كانت السيارة جديدة..

- لو نجوت من الفيلم فلا تتعاقد على جزء ثان له لأنك ستفارق عالمنا خلال أول خمس دقائق من هذا الجزء.

- تحت اية ظروف .. لا تفعل شيئًا لمجرد أن احدهم يتحداك كي تفعله..

- لا تذهـب هنـاك أبـدًا .. (هنـاك هـذه قـد تعـني القبـو - العليـة - الجـرن - الزقـاق المظلـم - البحـيرة - الغابـة).

- بالنسـبة للفتيـات: لا تسـتحمي أبـدًا خاصـة إذا كنـت وحـدك في المـنزل..

- نصيحـة أخـرى للفتيـات .. الفتيـات الخليعـات في الأفـلام يمـتن بسرعـة.. أمـا إذا كنـت صديقـة البطلـة ففرصتـك في النجـاة معدومـة .. أنـا آسـف!

- إسأل لماذا يباع العقار بهذا السعر البخس.

- بعـد قتـل المسـخ انظـر للكامـيرا .. لـو رأيتهـا تتراجـع للـوراء بـلا سـبب مفهـوم، فعليـك أن تهـرب فـورًا.

- كلبـك يمكنـه العنايـة بنفسـه .. كذلك أطفالـك وزوجتك.. لا تعد أبـدًا ..

- الذيـن لا يصدقـون يموتـون بسرعـة وبشـكل مريـع .. كـن مـن المصدقين..

- إنـه بانتظـارك في المقعـد الخلفـي للسـيارة وأنـت تحـاول الهـرب ..

- لا تهـرب إلا بالحافلـة .. لـو اسـتقللت سـيارة فالمسـخ ينتظـرك فيهـا .. سـائقو التاكـسي جميعًـا تحـت الاسـتحواذ..

ركوب المترو يعني الركض في ممرات مظلمة خالية .. المسخ يستطيع تدمير الطائرة أو القارب .. صدقني اركب الحافلة.

- لو كنت طفلاً فلتهنأ بالأ... الأطفال لا يموتون أبدًا في أفلام الرعب .. فقط يموت المراهقون النشطون جنسيًا..

- إذا كان اسم الفيلم يحتوي علامة تعجب مثل هذه(!) فاستعد لمواجهة حيوان متحور عملاق!

- عامة لا تسكن في أي فندق يهوى صاحبه تحنيط البشر..

- عندما يقيم أهل القرية احتفالاً ويقولون لك: «ما كنا لنستمتع بشواء اللحم إلا بوجودك معنا».. عندها يجب أن تفر!

- إذا سمعت اللحن المميز للفيلم يتردد فاعلم أن كارثة توشك على الحدوث ..

- لا تعمل أبدًا في وردية الليل..

- لا تفجر قنابل نووية في الصحراء حيث الحشرات تنتظر أية فرصة لتتحور وتصير عملاقة ..

- كن دائمًا لطيفًا مهذبًا مع الفتاة القبيحة المنبوذة في

مدرستك..

- لو أرسلت زوجك لمعرفة مصدر ضوضاء غامضة بالطابق السفلي ولم يعد خلال خمس دقائق فلا تلحقي به .. لقد مات على كل حال ..

- لا تعط الكمبيوتر القدرة على إغلاق الأبواب ..

- عندما تدخل المنزل المهجور لا تجرب الثياب القديمة في القبو .. لا تنظر في المرايا .. لا تطالع أية مفكرة ..

- لا تقتن قطًا ... فهذا الحيوان البائس لا يفعل شيئًا إلا أن يسجن نفسه في خزانة ثياب فيطير صوابك رعبًا عندما تفتحها .. بعد هذا تلقى المسخ عندما تخرج من الغرفة.. اشتر سمكة زينة أفضل ..

- لا تعلن أنك لست خائفًا أو لا تصدق .. معنى هذا أنك تستحق ما سيحدث لك.

- إن بدأ اللعاب يسيل من فم جدتك والشعر ينمو في وجهها فقد حان الوقت لإرسالها إلى ملجأ العجزة.

- أطلق الرصاص على كل شيء طيلة الوقت .. لا تضيع وقتك .. اقتل الجميع!

الفهرس



من متجر علاج الاكتئاب، أردنا أن نأتيك بدعابات ظريفة ..

أو نكات مضحكة .. أو طرائف مسلية .. أو مُلح مقرظة،

فلم نجد للأسف .. لهذا ابتعنا لك نصف كيلو

زغازيغ.

